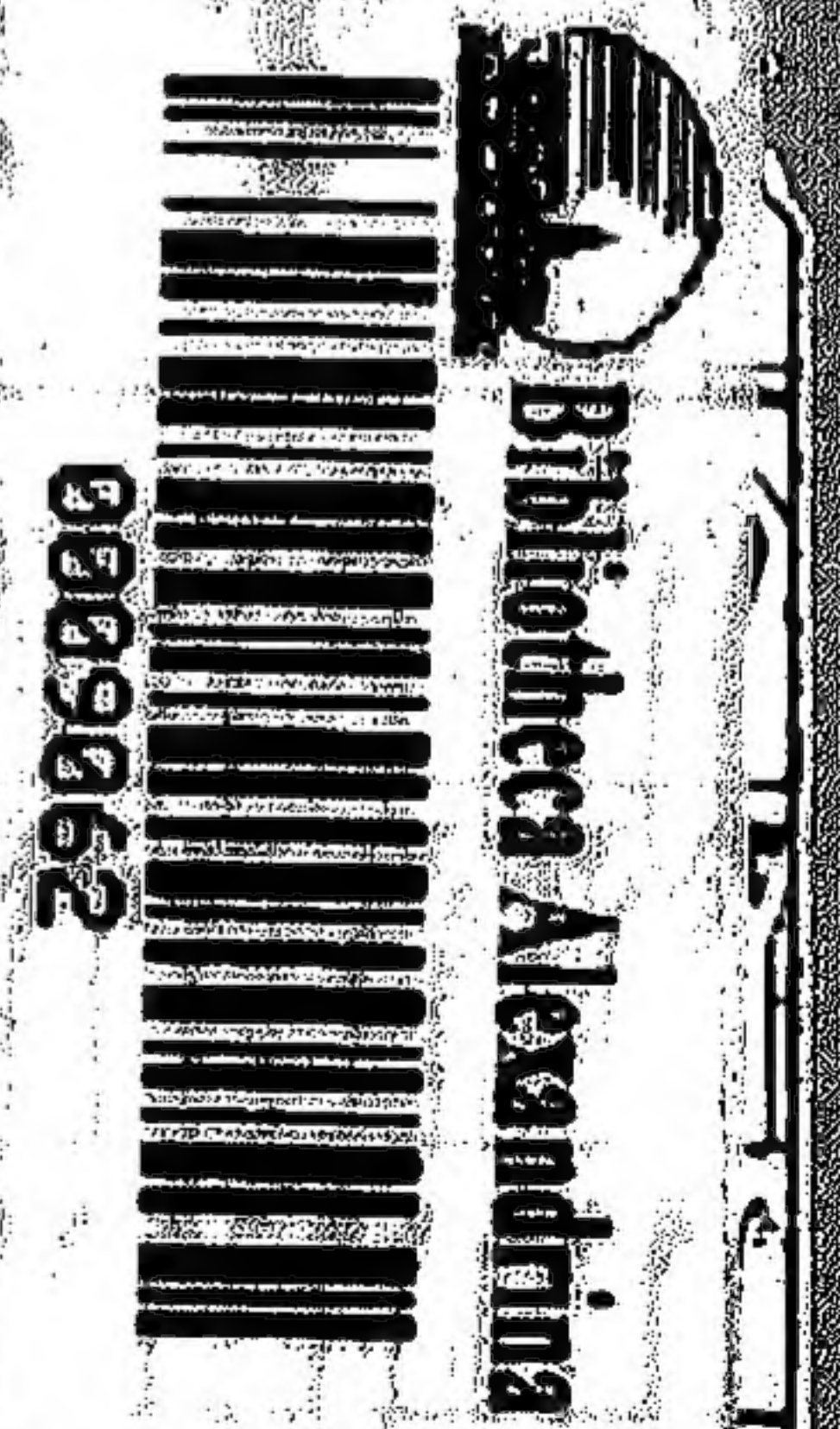
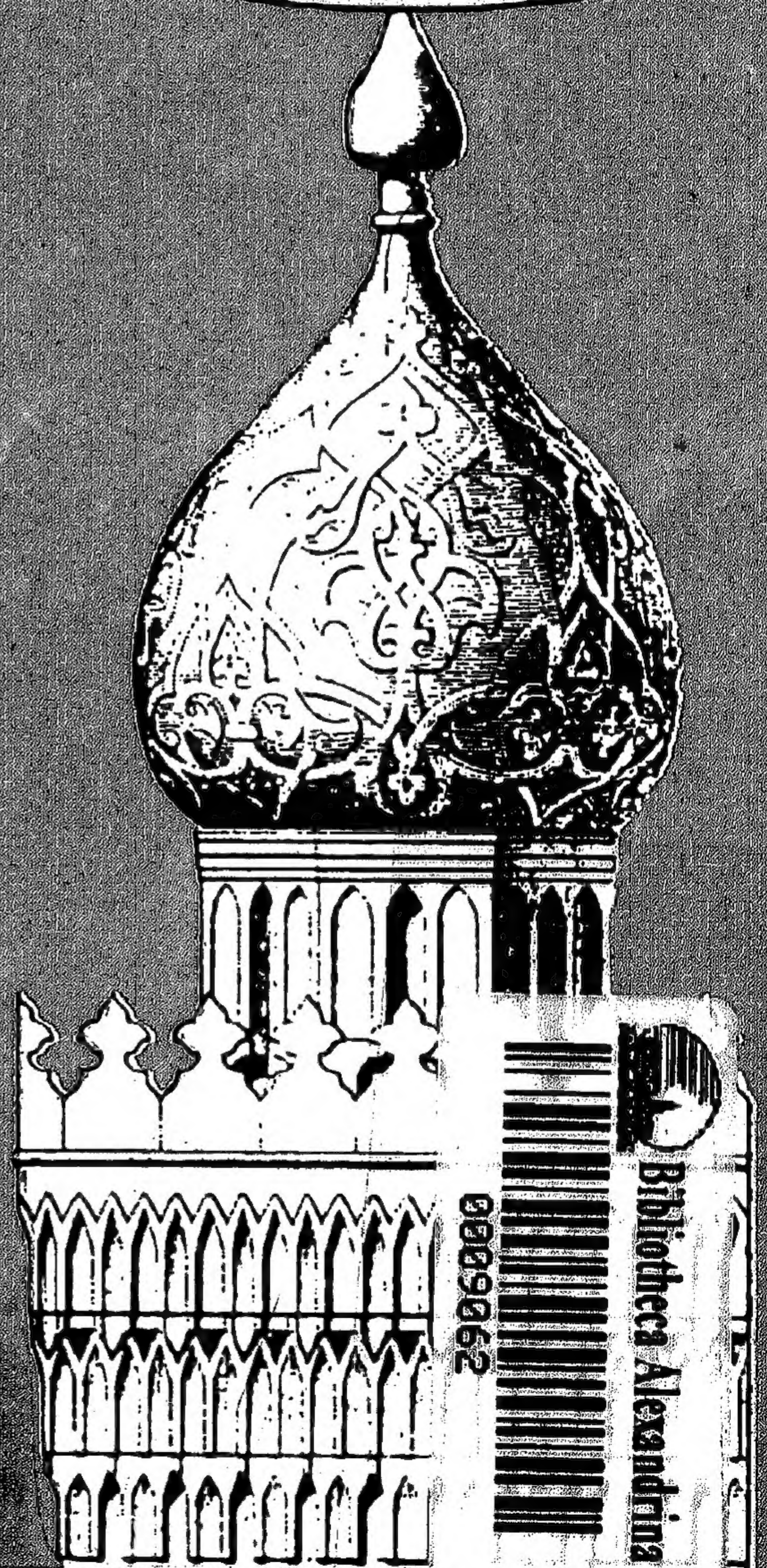


صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(مَوَاقِفُ وَمَوَاعِظُ)

- ٢ -

عبد العزيز السناوي



دار الفكر العربي

29

عبد العزيز السنائي

صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(مَوَاقِفٌ وَمَوَاعِظٌ)

(٣)

— عبدة بن الحارث

— عثمان بن مظعون

— عبد الله بن أبي السرح

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

١١ شارع جوارديني - القاهرة

ص ١٣٠ ت ٧٦٠٥٢٣ - ٧٥٠١٦٧

عبيدة بن الحارث

قال عبيدة بن الحارث لرسول الله ﷺ :
— أأست شهيدا ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام :
— بلى ، وأنا أشهد عليك •

تطلع الى السماء فوجدها صافية الأديم فتوقف عن الدعاء والابتهاال • فمئذ
المصباح خرجت قريش جميعا رجالا ونساء ووقفوا أمام الآلهة متوسلين خسارعين
راجين مناة وهبل واللات والعزى أن تدركهم برحمتها فترسل الرياح مقللة سحباً
ثقلاً فتحيى الأرض بعد موتها فقد هزلت الأنعام وحق الضيق والكرب •

ووجد عبيدة بن الحارث قدميه تقودانه بعيداً •• الى شعاب مكة • وعاد
طوفان الأسئلة يثور في صدره هل ودعتهم الآلهة ؟ هل ضلت قريش السبيل فحل
عليهم غضب الآلهة ؟ ولكن لم تغضب ؟

لقد أهرقت عند أقدامها الدماء اكراما وتعظيما وقربانا وزلفى •

كانت السماء مكفهرة ملبدة بالغيوم لماذا لم تمطر ؟ صارت عصية الدمع ؟
أصبحت الآلهة عاجزة عن تلبية رغبات الناس ؟ لماذا كانت وجوها ساكنة ؟ لم
تعد تشعر بما يدور حولها ؟ ألم تسمع تلك الأدعية الصادرة من أغوار القلوب •
إذا كانت عاجزة عن ارسال المطر فمن يستطيع أن ينزل الغيث فيحيل رزقهم رخاء
وعسرهم يسرا ؟

ورأى عبيدة بن الحارث عثمان بن عفان وزيد بن حارثة وسعد بن أبي
وقاص •• فدنا منهم وتساءل :

— ماذا تفعلون ؟

قال زيد بن حارثة : نصلى •
قال عبيد بن الحارث : لمن ؟
قال عثمان بن عفان : لله •

- تلفت عبيدة حوله وقال : أى اله ؟ لم أر اللات أو العزى أو هبل •
- قال سعد بن أبى وقاص : لم نصل لصنم •
- قال عبيدة بن الحارث : أتصلون لاله لم تروه ؟
- قال عثمان بن عفان : ان لم نره فأننا نرى آياته •
- قال عبيدة بن الحارث فى عجب : آياته ؟ !
- قال سعد بن أبى وقاص : نعم آياته •• السماء والأرض والليل والنهار والقمر والنجوم ••
- تساءل عبيدة بن الحارث : أى اله هذا ؟
- قال زيد بن حارثة : الواحد الأحد الفرد الصمد •
- قال عبيدة بن الحارث : واللات والعزى ومناة وهبل ؟
- قال عثمان بن عفان : ان هى الا أحجار لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضرا ولا نفعا •
- قال عبيدة بن الحارث : لقد فتنتم •
- قال سعد بن أبى وقاص : بل لقد رشدنا •
- قال عبيدة بن الحارث : من أين جاءكم هذا الأمر الذى سفه أحلامكم ؟
- قال زيد بن حارثة : يا أبا الحارث أنت أعلم الناس بأبن عمك محمد بن عبد الله ومقدار صدقه وأمانته وهو من أنفسكم •
- قال عبيدة بن الحارث : ان محمدا غير متهم فهو يؤدى الأمانة ويصل الرحم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر •
- قال سعد بن أبى وقاص : لقد أنزل الله على محمد ملكا من السماء وأخبره أنه نبي هذه الأمة وأمره بعبادة الله وحده •
- قال عبيدة بن الحارث : أيكفر باللات والعزى ومناة وهبل ؟
- قال زيد بن حارثة : نعم انه يدعو الى نبذ عبادة الأصنام والأوثان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى •

قال عثمان بن عفان : ان رسول الله يدعو الى مكارم الأخلاق وقد جاء
بهناء الدنيا وسعادة الآخرة •

قال عبيدة بن الحارث : أتبعه أحد غيركم ؟

قال سعد بن أبي وقاص : لقد تبعه على بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة
وورقة بن نوفل وطلحة بن عبيد الله وعبد عمرو بن عوف وسماء نبي الله
عبد الرحمن بن عوف • • ولقد آمنت به زوجته الطاهرة خديجة بنت خويلد
وأم الفضل زوجة عمه العباس وفاطمة بنت أسد زوجة عمه أبي طالب وأم أيمن •

فأطرق عبيدة بن الحارث لقد مس كلامهم شغاف قلبه وتفتحت له أغوار
نفسه • فلو كان أحد غير محمد - ﷺ - جاء بهذا الدين الجديد لكذبه
عبيدة بن الحارث ولكن محمدا - عليه الصلاة والسلام - يعرفه قومه بالأمين • •
ولم ييغ من وراء ذلك جاها ولا سلطانا ولا مالا فحسبه أنه لا يمد يده الى أموال
خديجة الطائفة •

تساءل زيد بن حارثة : يا أبا معاوية ألا تريد أن تلقى رسول الله ﷺ ؟

قال عبيدة بن الحارث : هيا اليه •

فقال سعد بن أبي وقاص وعثمان بن عفان لزيد بن حارثة : اصحبه الى
بيت رسول الله ﷺ •

فانطلقا اليه فوجد عبيدة محمدا - ﷺ - يصلى فجعل يرمقه متعجبا ويتبعه
بنظره فلما أتم ابن عمه - عليه الصلاة والسلام - صلاته اتجه عبيدة وزيد اليه
وسلما عليه فعرض محمد - ﷺ - على عبيدة الاسلام وقرأ القرآن فأحس
عبيدة نشوة عارمة وكان غشاوة قد رفعت من عينيه وأنه ارتفع حتى كاد يعاين
ملكوت الله وانسكبت أنوار اليقين في قلبه فاذا به يرى الوجود كله قد تألق
نورا فمد يده نحو رسول الله ﷺ مبايعا وقال : أشهد أن لا اله الا الله وأنت
رسول الله •

ففرح النبي عليه الصلاة والسلام باسلامه فقد كان عبيدة بن الحارث رأس
بنى عبد مناف وكان أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين • • وأصبح له قدر ومنزلة

عند ابن عمه عليه الصلاة والسلام •

ومنذ أن شرح الله صدر عبيدة بن الحارث أصبح لا يفارق رسول الله ﷺ هو ومن تبعه يلتفون حوله ويلقون اليه سمعهم لينهلوا من ينابيع الحكمة وليهتدوا بنور هديه •

وبينما كان أشراف قريش في ناديمهم أقبل أبو ذر الغفاري ونادى بأعلى صوته :

— يا معشر قريش أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله •

فنظروا الى الرجل الغريب في عجب •• وقاموا انيه ومالوا عليه يضربونه حتى أضجعوه •• فأخبر عبيدة بن الحارث عمه العباس بن عبد المطلب فأقبل وأكب على أبي ذر وقال :

— ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم الى الشام ؟

فقال أبو سفيان بن حرب : لا نريد أن تقطع غفار علينا تجارتنا الى الشام •
وقال أمية بن خلف : ولا نود أن يكون لأحد مثل غفار عندنا ثأر •
وذهب أبو ذر الى زمزم وغسل دمه عن وجهه •

وفي صبيحة اليوم التالي جاء أبو ذر الى الحرم ونادى بأعلى صوته :
يا معشر قريش اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

فقام اليه سادات قريش وأشبعوه ضربا فقال أبو ذر : يا أعداء الله أتضربونني على ايمانى بالله الواحد الأحد ؟

فقال أبو جهل بن هشام : صبأت ؟

قال أبو ذر : بل هداني ربي سواء السبيل •

قال أبو جهل : سحرك محمد بشعره ؟

قال أبو ذر الغفاري : منذ متى كان رسول الله ﷺ يقرض الشعر ؟
يا أبا جهل هل كان صدق محمد وأمانته موضع ريبة طوال الأربعين سنة التي

قضاها بينكم عابدا طاهرا ؟ لو أراد الله بك خيرا لسمعت وتدبرت قوله تعالى :
« وعجبوا أن جاءكم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب • أجعل الآلهة
ألها واحدا ان هذا لشيء عجاب » •• لعرفت أنه نبي الله حقا •

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أرادوا الصلاة خرجوا مستخفين من قومهم
الى شعاب مكة • وذات يوم بينما كان أتباع النبي عليه الصلاة والسلام يصلون
اذ ظهر عليهم عبد الله بن خطل وحنظلة بن أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل
وضرار بن الخطاب وأبو سفيان بن الحارث فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون
حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص عبد الله بن خطل بلحى بعير فشجه
فكان أول دم أهريق في الاسلام •

وعلم أصحاب رسول الله ﷺ أن الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي قد أسلم
وجعل من داره عند الصفا دارا للاسلام فدخلها رسول الله ﷺ وأصحابه وأخذوا
يصلون فيها مستخفين ويعبدون الله تعالى فيها •

ودخل صهيب بن سنان (الرومي) وعمار بن ياسر دار الأرقم بن أبي الأرقم
ونطقا بشهادة الحق •

ولما بلغ عدد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام تسعة وثلاثين في السنة
الرابعة من مبعثه ﷺ أنزل الله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك
لن اتبعك من المؤمنين » (أى اظهر ما تؤمر به من الشرائع وادع الى الله تعالى
ولا تبال بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الأقربين وهم بنو هاشم وبنو
عبد المطلب) •

واشتد ذلك على رسول الله ﷺ وضاق به ذرعا وجلس في داره فسأله
عبدة بن الحارث : ما بك يا رسول الله فداك أبي وأمي ؟

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : عرفت أنى ان بدأت بها قومي رأيت
منهم ما أكره •

وأنته عماته يعدنه فقال رسول الله ﷺ : ما اشتكيت شيئا ولكن الله أمرنى
أن أنذر عشيرتى الأقربين •

فقلن له : فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم (أبا لهب) فانه غير مجيبك
الى ما تدعو اليه •

وصمت رسول الله ﷺ فجاءه جبريل عليه السلام وقال : يا محمد ان لم
تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار •

فأتى رسول الله ﷺ الصفا فصعد عليه ونادى : يا صباحاه •

فاجتمع الناس اليه : فقال النبي عليه الصلاة والسلام : يا معشر قريش
أرايتم لو أخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أصدقتموني ؟

قال الناس :

— نعم •• ما جربنا عليك كذبا قط •

قال رسول الله ﷺ : يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى
مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار
يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من
النار يا بنى زهرة أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم
من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار يا صفية عمة محمد
أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيئا • لا أملك لكم من الدنيا
منفعة ولا من الآخرة نصيبا •• الا أن تقولوا لا اله الا الله (لا تبقوا على كفركم
اتكالا على قرابتكم منى) •

فقال أبو لهب بن عبد المطلب : تبا لك سائر اليوم •• ألهذا جمعتنا ؟ تفرقوا
أيها الناس عن هذا المجنون الضال •

فقال رسول الله ﷺ : ما أعلم انسانا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم
به لقد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى ربى أن أدعوكم اليه فأيكم يؤازرنى
على هذا الأمر ؟

فقال الناس وهم يبتعدون : لا أحد •

وعاد أبو لهب الى داره وأخذ يروى على امرأته أم جميل (أخت
أبي سفيان بن حرب) ما كان من محمد ﷺ فأخذت أم جميل تشارك عبد العزى في
سخريته وهزئه .. فأنزل الله تعالى فيهما « تبت يدا أبي لهب وتب • ما أغنى
عنه ماله وما كسب • سيصلى نارا ذات لهب • وامرأته حمالة الحطب • في جيدها
حبل من مسد » .. وذاعت سورة المسد في مكة فاستفحل حقد وكراهية وغيظ
أبي لهب وامرأته أم جميل وكانت رقية وأم كلثوم ابنتى رسول الله ﷺ في كنف
ابنى عمهما أبى لهب فركبه الغضب وطلب منهما ان يفارقا ابنتى محمد ﷺ ..
ففعلتا •

وخرجت أم جميل الى الحرم تبحث عن رسول الله ﷺ وفي يدها حجر •
فلما رأت النبى عليه الصلاة والسلام يتحدث مع أبى بكر وعبيدة بن الحارث
انطلقت نحوهم • فقال أبو بكر : يا رسول الله انها امرأة بذيئة فلو قمت فوالله
لتؤذينك •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : انها لن ترانى •
وأقبلت أم جميل .. فقالت : يا أبا بكر صاحبك هجانى •

فقال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك •
فتبسم عبيدة بن الحارث فقد كان أبو بكر يقسم صادقا فما هجاها رسول
الله ﷺ ولكن الله تعالى هجاها هى وزوجها •
فقالت أم جميل : أنشد فى شعرا •

فقال أبو بكر : والله ما صاحبى بشاعر وما يدرى ما الشعر •
فقالت أم جميل : والثواقب انه لشاعر وانى لشاعرة :

مذمما أبينا وديته قلينا وأمره عصينا

وانصرفت أم جميل الى دارها فقال عبيدة بن الحارث : يا نبى الله لقد
كانت تحمل حجرا وتريدك .. انها لم ترك •

فقال رسول الله ﷺ : جعل بينى وبينها حجابا .. حال بينى وبينها جبريل •

(٢)

لقى رسول الله ﷺ أبا جهل بن هشام والمغيرة بن شعبة فقال النبي عليه الصلاة والسلام : يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله •

فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت فوالله لو أعلم ما تقول حقا لاتبعتك •

فانصرف رسول الله ﷺ • • فقال أبو جهل للمغيرة بن شعبة : والله انى لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعنى شيء أن بنى قصى قالوا : فينا الحجابة فقلنا : نعم ثم قالوا : فينا السقاية فقلنا : نعم • ثم قالوا فينا الندوة فقلنا : نعم • ثم قالوا فينا اللواء فقلنا : نعم • ثم أطعموا وأطعمنا حتى تحاكت الركب فقالوا : منا نبى • • والله لا أفعل •

وعلم أبو جهل بن هشام أن الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى قد أسلم وجعل داره مقرا للمسلمين وقد سمي هذه الدار دار الاسلام فانطلق اليه وقال غاضبا : ترغب عن ملة آبائك إلى دين محمد ؟

قال الأرقم بن أبى الأرقم : بل دين الحق •

وحاول أبو جهل أن يثنى الأرقم بن أبى الأرقم ولكن الأرقم ظل كالطود الشامخ لا يتزعزع فلما فل سلاح الاقتناع قال أبو جهل : واللات لا أملك حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين •

قال الأرقم بن أبى الأرقم : « قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون » والله لا أدعه ولا أفارقه •

وعاد أبو جهل يتوعد ويهدد الأرقم • • فلم يلق بالآلة تهديده ووعيده • فحبسه أبو جهل وسقاه العذاب والهول ولكن الأرقم لم يفتن عن دينه • • فخشى أبو جهل أن يفتن الأرقم بن أبى الأرقم ضعفاء بنى مخزوم فأطلقه وهو كاره •

و ذات يوم بيثما كان رسول الله ﷺ وأصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم فقال عبيدة بن الحارث : والله ما سمعت قرئ القرآن جهرا الا من رسول الله ﷺ فمن فيكم يسمعهم القرآن جهرا ؟

قال عبد الله بن مسعود : أنا •

فقال جعفر بن أبي طالب وأبو سلمة المخزومي وخالد بن سعيد وعياش ابن أبي ربيعة : نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم •

فقال عبد الله بن مسعود : دعوني فان الله سيمنعني منهم •

وقام عبد الله بن مسعود ثم ذهب الى مقام ابراهيم وقت الغروب وقرئ في أنديتها وقال رافعا صوته :

« بسم الله الرحمن الرحيم • الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان • الشمس والقمر بحسبان • والنجم والشجر يسجدان • والسماء رفعها ووضع الميزان • ألا تطفوا في الميزان » •

فتأملت قريش في عجب وتساءلوا : ما بال ابن أم عبد ؟

فقال بعضهم : يتلو بعض ما جاء به محمد •

ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءته حتى قرأ غالب السورة • ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه • فقال عبيدة بن الحارث وعامر بن ربيعة وسعيد بن زيد : هذا الذي خشينا عليك منه •

فقال عبد الله بن مسعود : والله ما رأيت أعداء الله أهون على مثل اليوم ولو شئتم لأتيتهم بمثلها غدا •

فقال مصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وخباب بن الأرت : لا • قد

أسمعتهم ما يكرهون •

وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن عند الكعبة تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار فقد تواصلوا وقالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن وآلغوا فيه •

حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا منهم •

ومر أبو جهل بن هشام برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه ما يكره فلم يكلمه النبي عليه الصلاة والسلام • ثم انصرف أبو جهل الى نادى قريش (محل تحدثهم فى المسجد) ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوثسا سيفه راجعا من قنصه (صيده) وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد أن يطوف بالببيت •• واذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احدهما : لو علم ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه أقصر عن مشيئه •
فالتفت حمزة اليهما فقال : ما ذاك ؟

قالت الثانية : أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا •

فاحتمل حمزة بن عبد المطلب الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا فى القوم فاقبل نحوه حتى قام على رأس أبى جهل بالقوس وقال : أتشتمه ؟

قال أبو جهل متضرعا : سفه عقولنا وسبب آلهتنا وخالف آباءنا •

فضربه حمزة بالقوس فشجه شجة منكرا وقال : ومن أسفه منكم ؟ تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأنا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك إن استطعت •

فقامت رجال من بنى مخزوم (عشيرة أبى جهل) الى حمزة لينصروا أبا جهل وقالوا : ما نراك الا قد صبأت •

فقال حمزة بن عبد المطلب : وما يمنعنى وقد استبان لى منه أنا أشهد أنه رسول الله وأن الذى يقوله حق والله لا أنزع فامنعونى ان كنتم صادقين ؟

فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة (ويكنى أيضا بأبى يعلى اسم ولد له أيضا)

فانى والله لقد أسمعت ابن أخيه شيئاً قبيحاً •

ولما علم عبيدة بن الحارث باسلام عمه حمزة هرع اليه ليهنئه فلما رآه
سأله : ما بك يا عم ؟

قال حمزة بن عبد المطلب : لقد وسوس لى الشيطان لما رجعت الى بيتى
وأخذ يقول لى : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك ؟ الموت
خير لك مما صنعت •

فقال عبيدة بن الحارث : اثبت يا عم فوالذى نفسى بيده لقد هديت الى
ضراط العزيز الحميد •

فقال حمزة : لقد رفعت يدي متضرعا وقلت : اللهم ان كان رشدا فاجعل
تصديقه فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا • ثم بت ليلتى ولكن
الشيطان مازال يوسوس لى •

قال عبيدة بن الحارث : هيا نذهب الى رسول الله ﷺ •

فذهبا اليه ﷺ فقال حمزة بن عبد المطلب : يا ابن أخى انى وقعت فى أمر
لا أعرف المخرج منه • واقامة مثلى على ما لا أدري أرشد هو أم غى شديد ؟

فأقبل عليه رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله تعالى فى
قلب حمزة بن عبد المطلب الايمان بما قال النبى عليه الصلاة والسلام فقال حمزة :

— أشهد أنك لصادق فأظهر يا ابن أخى (كان أخاه من الرضاعة أرضعتها
ثويبة مولاة أبى لهب بن عبد المطلب وكان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بسنتين)
دينك •

فسر النبى عليه الصلاة والسلام باسلام حمزة سرورا كبيرا فقد كان أعز
فتى فى قريش وأشدهم شكيمة (أعظمهم فى عزة النفس وشهامتها) •

ولما علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز باسلام عمه حمزة بن عبد المطلب
اجتمعوا فى ناديهم فقال أبو سفيان بن حرب :

— ما الرى فى محمد ؟ ان عمه أبا طالب يمنعه وينصره علينا وانى أخشى أن يتبعه بعض رعوس القوم واسلامهم مقدمة لاسلام الأذئاب والأتباع والبنين وأنحفدة والأصدقاء وقد علمتم أن عمه حمزة بن عبد المطلب قد أسلم البارحة •

قال النضر بن الحارث : ما رأيت مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل وأخشى أن يعز ويمنع أمره فى القبائل •

قال أبو جهل بن هشام : هيا نذهب انى عمه أبى طالب فنكلمه قبل أن يستفحل الخطب •

فمشى أبو سفيان بن حرب وعتبة بن ربيعة وأبو البختري والأسود ابن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام فقالوا لأبى طالب :

— يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا • وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا (عقولنا) وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننزله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين •

ثم انصرفوا عنه •

فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسها بأن يخذل رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخى ان قومك قد جاءونى فقالوا لى : كذا وكذا فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق •

فظن النبى عليه الصلاة والسلام أن عمه خاذله وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته •

ثم استعبر النبى عليه الصلاة والسلام (حصنت له العبرة التى هى دمع العين) فبكى ثم قام • فلما ولى ناداه عمه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخى •

فأقبل رسول الله ﷺ فقال أبو طالب : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك •

ثم قال أبو طالب :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً

وعز الله نبيه باسلام عمه حمزة وأنزل الله تعالى : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » فأدرك أصحاب رسول الله ﷺ أن الله يعني حمزة بن عبد المطلب فأحياه وجعل له نورا . وأن الله تعالى يعني أبا جهل الذي يعيش في الظلمات ولن يخرج منها .

وأقبلت قريش على بعض أصحاب رسول الله ﷺ بالأذية سيما المستضعفين منهم (الذين لا جوار لهم) فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتته عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش حتى أن الواحد منهم ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضرب الذي به وكان أبو جهل بن هشام يحرضهم على ذلك وكان إذا سمع بأن رجلا أسلم وله شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له : ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك .

وان كان تاجرا قال له أبو جهل : والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك .

وان كان ضعيفا أغرى به ، فخرج أمية بن خلف ببلال بن رباح وأمر بطرحه على ظهره في الرمضاء (الرمل إذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت) ثم أمر بصخرة عظيمة فوضعت على صدره وقال له :

— لا تزال هكذا حتى تموت أن تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .

فيقول بلال : أحد . أحد . أحد (أنا لا أشرك بالله شيئا . أنا كافر باللات والعزى) .

ومر رسول الله ﷺ على بلال وهو يعذب فقال له : سينجيك أحد أحد .

وأخذ صفوان بن أمية أبا فكيهة وأخرجه نصف النهار في شدة الحر الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه وأبى بن خلف يقول لابن أخيه صفوان :

— زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره •

وعذبت زنيرة حتى عميت فقال لها أبو جهل : ان اللات والعزى فعلا بك
ما ترين •

فقالت زنيرة : كلاً والله لا تملك اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا أمر من
السماء وربى قادر على أن يرد على بصرى •

فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالى عليها بصرها •• فقالت قريش : ان
هذا من سحر محمد •

وكان الأسود بن عبد يغوث يعذب أم عبيس أمة بنى زهرة •

وكان أبو جهل يعذب ياسرا وامراته سمية وابنه عمارا بالنار فمر رسول
الله ﷺ بهم فقال : صبرا آل ياسر • اللهم اغفر لآل ياسر •

وأغلظت سمية القول لأبى جهل فطعنها بحربة في قلبها فأبّت الا الاسلام
وكانت أول شهيدة في الاسلام وأتى عمار بن ياسر رسول الله ﷺ وقال : لقد
بلغ منا العذاب كل مبلغ وقتل بنو مخزوم أبى وأمى •

فقال النبی علیه الصلاة والسلام : صبرا أبا اليقظان •

ثم قال رسول الله ﷺ : اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار •

وذهب أبو بكر الى أمية بن خلف فقال له : أتبيع بلال بن رباح ؟

قال أمية بن خلف : نعم أبيه بنسطاس (عبد الأبي بكر) •

فقال أبو بكر : اشتريته به •

فقال بلال : يا أبا بكر ان كنت اشتريتنى لنفسك فامسكنى وان كنت

انما اشتريتنى لله عز وجل فدعنى لله • فأعتقه أبو بكر •

واشتري أبو بكر حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة وأبا فكيهة وزنيرة وأعتقهم •

واشتدت عداوة قريش للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه وأنزلوا بهم

أشد العذاب فجاء أتباع رسول الله ﷺ يشكون فقال :

— من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجب له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم خليل الله ونبيه محمد •

فقالوا : أين نذهب يا رسول الله ؟

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : تفرقوا في الأرض فان الله تعالى سيجمعكم •

فقالوا : الى أين نذهب يا نبي الله ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : اخرجوا الى جهة الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق •

فقالوا : ومتى نعود الى مكة يا رسول الله ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : عندما يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه •

(٣)

جاء غلام يتيم رسول الله ﷺ وقال : يا محمد كان أبو الحكم وصيا على وأنا يتيم فأكل مالي وطردني فخذ حقى منه يرحمك الله •

فمشى النبي عليه الصلاة والسلام معه الى أبي جهل بن هشام ورد على اليتيم ماله • • فلما رآه أشراف قريش قالوا : ويلك يا أبا الحكم ما رأينا مثل ما صنعت •

قال أبو جهل : خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن أعطيه لطعننى •

واجتمع أشراف قريش من كل قبيلة وقالوا : ابعثوا الى محمد حتى تعذروا فيه •

فقال النضر بن الحارث : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت

هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشئت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يريد ؟

فقال سادة قريش : لا نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة •

فقال عتبة بن ربيعة : يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها ويكف عنا ؟

فقالوا : بلى يا أبا الوليد •• فقم إليه وكلمه •

فقام عتبة بن ربيعة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة (الخيار حسبا ونسبا) فى العشيرة والمكان فى النسب وأنت قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفحت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم •• يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟

فسكت رسول الله ﷺ •

فقال عتبة بن ربيعة : ان كنت ترعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت وان كنت ترعم أنك خير منهم فقل يسمع لقولك لقد أفضحتنا فى العرب حتى طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا • ما تريد الا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى • فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها •

فقال رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع •

فقال عتبة بن ربيعة : يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا • وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك • وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا (يصير لك الأمر والنهى) وان كان هذا الذى يأتيك رؤيا من الجن تراه ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع الرجل حتى يداوى • وان كان انما بك الباءة فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا •

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لقد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال عتبة بن ربيعة : نعم •

قال رسول الله ﷺ : فاسمع مني •

قال عتبة : افعل •

قال النبي عليه الصلاة والسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم • حم • تنزيل من الرحمن الرحيم • كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون • وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون • قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الحكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين • الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » •

ثم مضى النبي عليه الصلاة والسلام فقرأ عليه وقد أنصت عتبة لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه • • ثم انتهى رسول الله ﷺ الى قوله تعالى : « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فأمسك عتبة على فيه ﷺ وناشده الرحم أن يكف عن ذلك • • ثم انتهى النبي عليه الصلاة والسلام الى السجدة فيها فسجد • • ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك •

مقام عتبة الى أصحابه •

فقال أبو جبل بن هشام : أحلف بالله لقد جاء أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به •

فلما جلس عتبة اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال عتبة بن ربيعة : ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة • يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها لي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان

تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم
وكنتم أسعد الناس به •

فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد
وأعجبه كلامه •

فقال عتبة بن ربيعة : هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم •

وذهب رسول الله ﷺ الى المسجد وكان بصحبته عبد الله بن مسعود
وعبيدة بن الحارث وصهيب بن سنان وأخذ النبي عليه الصلاة والسلام يصلي
وقد نحر جزور وبقي فرثه (روثه في كرشه) فقال أبو جهل لأشراف قريش :
ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد ؟

فقال أشقى القوم وهو عتبة بن أبي معيط : أنا لها يا أبا الحكم •

وقام عتبة وجاء بذلك الفرث فألقاه على رسول الله ﷺ وهو يصلي ••
فاستضحك سادة قريش وجعل بعضهم يميل على بعض من تسده الضحك ولم
يسطع احد من اتباع رسول الله ﷺ ان ينهض ويطرح الفرث عن النبي عليه
الصلاة والسلام حتى جاءت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فالتقتة عنه •• فقام النبي
عليه الصلاة والسلام وقال : اللهم انسدد وطأتك (عقابك الشديد) على مضر
سنين كسنى يوسف • اللهم عليك بابي الحكم بن هشام وعتبه بن ربيعة وعقبه
بن ابي معيط وامية بن خلف وثيبه بن ربيعة والدليلد بن عتبة • اللهم عليك
بقريش • اللهم عليك بقريش • اللهم عليك بقريش •

فلما سمع سادات قريش صوت رسول الله ﷺ ذهب منهم الضحك وهابوا
دعوته •

— وبعث قريش النضر بن الحارث وعتبة بن أبي معيط الى أحبار يهود يثرب
وقالوا لهما : اسألاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل
الكتاب الأول (التوراة) وعندهم علم ليس عندنا •

فخرج عتبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث حتى قدما يثرب وسألا
أحبار يهود : أتيناكم الأمر حدث فينا •• منا غلام حقير يقول قولا عظيما • يزعم
أنه رسول الله •

قال أحبار يهود : صفوا لنا صفته •
فوصفوا ...

قال أحبار يهود : فمن يتبعه منكم ؟

قال عقبة والنضر : سفلتنا •
فضحك خبر منهم وقال : هذا النبي الذي نجد نعتيه ونجد قومه أشد
الناس له عداوة •

قال أحبار يهود : سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم
يفعل فالرجل متقول • • سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول (أهل الكهف)
ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب • وسلوه عن رجل طواف قد بلغ
مشارك الأرض ومغاربها (وهو ذو القرنين) ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح
ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك (بحقيقة الأولين وبعارض من عوارض الثالث) وهو
كونها من أمر الله فاتبعوه فإنه نبي •

فرجع النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى قريش وقالوا لهم : قد
جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد •
وأخبراهم الخبر •

فجاءوا إلى رسول الله ﷺ وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام :
أخبركم غدا •

ولم يستثن (لم يقل رسول الله ﷺ : إن شاء الله تعالى) •

وانصرف أشراف قريش فمكث عليه الصلاة والسلام خمسة عشر يوما
لا يأتيه الوحي • • فقال سادة قريش : إن محمدا قلاه ربه وتركه •

وقالت أم جميل زوجة أبي لهب لرسول الله ﷺ : ما رأي صاحبك إلا وقد
ودعك وقلاك (تركك وبغضك) •

وقالت امرأة من قريش : أبطل عليه شيطانه •

وشق على النبي عليه الصلاة والسلام ذلك منهم • ثم جاء جبريل عليه السلام فسأله رسول الله ﷺ : ما حبسك عني ؟

قال جبريل عليه السلام : وما ننزل الا بأمر ربك •

قال رسول الله ﷺ : لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنا •

قال جبريل عليه السلام : وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا •

ودعا عبدة بن الحارث أشراف قريش وأخبرهم أن رسول الله ﷺ قد جاءه الوحي عما سأله •

ولما اجتمع سادات قريش قال النبي عليه الصلاة والسلام : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا • إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا • فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا • ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا • نحن نقص عليك نبأهم بالحق أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى • وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا إذا شططا » •

فقال رجال من قريش : هذا عن أمر الفتية الذين ذهبوا في الذهب الأول • ماذا عن الرجل الطواف الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها ؟

قال رسول الله ﷺ : « ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا • إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا • فأتبع سببا • حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين أما أن تعذب وأما أن تتخذ فيهم حسبا • قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا • وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا • ثم أتبع سببا • حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا • كذلك وقد أوحينا بما لديه

خبرا • ثم أتبع سببا • حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون
يفقهون قولا • قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل
نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا • قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني
بقوة أجعل بينكم وبينهم ردا •

قال سادة قریش : يا محمد أخبرنا عن الروح ما هي ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر
ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » •

وما ج بعضهم في بعض فقال بعض أشرف مكة : لقد أجاب محمد
عما سألناه •

وقال آخرون : انه لم يجب عما سألناه وانه متقول •

وانصرف رسول الله ﷺ الى داره •

فقام أبو جهل بن هشام قال : أسمعتم ما أجاب محمد ؟ ويسألونك عن
الروح قل الروح من أمر ربي • واللات هذا القول ما هو بالجواب • أترون
أنه عجز ؟

قال عتبة بن ربيعة : يا أبا الحكم أسمع مني ؟

قال أبو جهل : قل يا أبا الوليد •

قال عتبة بن ربيعة : والله ما هو بعاجز وما كذبكم في هذا شيئا • ان
الروح لا يمكن أن تكون من أمر بشر • لقد صدقكم محمد وما كان عليه لو أنه
نبي كاذب أن يقول لكم في أمر الروح قولا أو يصف لكم وصفا يسكتكم به •

وجلس الوليد بن المغيرة يوما فقال : أينزل هذا القرآن على محمد وأترك
أنا وأنا كبير قریش وسيدها • ويترك أبو مسعود الثقفي سيد ثقيف ونحن عظماء
القريتين (مكة والطائف) ؟

فأنزل الله تعالى : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم • أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » •

فقال الوليد بن المغيرة لسادة قريش : ابعثوا أحدا ليأتى بمحمد •

فجاء رسول الله ﷺ مسرعا طمعا في هدايتهم حتى جلس اليهم فعرضوا عليه الأموال والشرف والملك •

فقال رسول الله ﷺ : ما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم وإن تقبلوا مني ما جئتمكم فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم •

قال أبو جهل : يا محمد ارجع إلى ديننا وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك •

وقال عتبة بن ربيعة : ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح •

فتساءل النبي عليه الصلاة والسلام : وما هي ؟

قال عتبة بن ربيعة : تعبد آلهتنا اللات والعزى سفة ونعبد الهك سفة فنشترك نحن وأنت في الأمر فان كان الذي نعبده خيرا مما تعبد كنت أخذت منه بحظك وان كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا منه بحظنا •

فقال رسول الله ﷺ : حتى أنظر ما يأتي من ربي •

فجاءه الوحي بقوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم • قل يا أيها الكافرون • لا أعبد ما تعبدون • ولا أنتم عابدون ما أعبد • ولا أنا عابد ما عبدتم • ولا أنتم عابدون ما أعبد • لكم دينكم ولي دين » •

قال أبو جهل : يا معشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضى من أسلافكم يتهافون في النار ألا ومن قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من الفضة •

قال عمر بن الخطاب : أنا لها •

فقال سادة قريش : أنت لها يا عمر ؟

قال عمر بن الخطاب : نعم •

وتعاهد معهم على ذلك • • وخرج متقلدا سيفه متنكبا كنانته يريد محمدا ﷺ فمر على عجل يذبح فسمع من جوفه صوتا يقول : يا آل ذريح صائح يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

فقال عمر في نفسه : ان هذا الأمر لا يراد به الا أنت •

ومر عمر بسعد بن أبي وقاص فقال له : أين تريد يا عمر ؟

قال عمر بن الخطاب : أريد أن أقتل محمدا •

فقال سعد بن أبي وقاص : أنت أصغر وأحقر من ذلك • تريد أن تقتل

محمدا وتدعك بنو عبد مناف أن تمشي على الأرض ؟

قال عمر بن الخطاب : ما أراك الا وقد صبأت فأبدأ بك فأقتلك •

قال سعد بن أبي وقاص : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشدد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا •

فقال سعد بن أبي وقاص : يا عمر مالك لا تصنع هذا بختك وأختك ؟

فتساءل عمر : صبا ؟

قال سعد بن أبي وقاص : نعم •

فتركه عمر وسار نحن أخته فاطمة بنت الخطاب وكان عندها خباب بن الأرب

ومعه صحيفة يقرأها عليهم • فلما دق عمر الباب وسمعوا صوته تغيب خباب وترك الصحيفة • ولما دخل عمر قال لأخته : ما هذه الهيمنة التي سمعت ؟

قالت فاطمة بنت الخطاب : ما سمعت شيئاً غير حديث تحدثنا به بيننا •

قال عمر لأخته وزوجها سعيد بن زيد : بلى والله لقد أخبرت أنكما بايعنما محمداً على دينه •

وبطش عمر بزوج أخته فألقاه إلى الأرض وجلس على صدره وأخذ بنحيته • فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها عمر فشجها فلما رأت الدم قالت له : يا عدو الله أتضربني على أن أوحده الله تعالى ؟ لقد أسلمت رغم أنفك فاصنع ما أنت صانع •

فلما رأى عمر ما بأخته وما صنع بزوجها ندم وقال لأخته : أعطني هذه الصحيفة أنظر ما هذا الذي جاء به محمد •

قالت فاطمة بنت الخطاب : أخشاك عليها •

فحلف ليردنها إذا قرأها اليها فقالت : يا أخى أنت نجس ولا يمسه إلا الطاهر •

فقام عمر واغتسل •• فخرج خباب وقال لفاطمة بنت الخطاب : أتدفعين كتاب الله إلى عمر وهو كافر ؟

قالت : نعم وإنى أرجو أن يهدي الله أخى •

فرجع خباب إلى محله ودخل عمر •• فأعطته تلك الصحيفة فقرأ عمر : « بسم الله الرحمن الرحيم • طه • ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى • إلا تذكرة لمن يخشى • تنزيلاً من خلق الأرض والسموات العلى • الرحمن على العرش استوى • له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى • وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى • الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى » •

فقال عمر : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه •

ثم عاد وقرأ : « وهل أتاك حديث موسى • إذ رأى نارا فقال لأهله أمكنوا
انى أنست نارا لعلى أتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى • فلما اتاها نودى
يا موسى • انى انا ربك فاحلح نعليك انك بالواد المقدس طوى • وانا اخترتك
فاستمع لما يوحى • اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واهم الصلاة لآخرى » •

فقال عمر بن الخطاب : ينبغى لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره •

فلما سمع خباب بن الأرت ذلك حرج اليه وقال : يا عمر انى أرجو أن يكون
الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ فانى سمعته امس وهو يقول : « اللهم ايد الاسلام
بأبى الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب » فالله الله يا عمر •

فقال عمر بن الخطاب : دلنى يا خباب على محمد حتى آتية فأسلم •

فقال خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه •

فعدد عمر الى دار الأرقم بن أبى الأرقم فقرر الباب فقبل : من هذا ؟

فقال : عمر بن الخطاب •

فما اجتراً أحد أن يفتح الباب لما عرفوه • • فقال النبى عليه الصلاة والسلام :
افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهدده •

فأخذ المقداد بن الأسود وحمزة بن عبد المطلب بعضدى عمر حتى دنا من
رسول الله ﷺ فقال : أرسلوه •

فأرسلوه • • فأخذ النبى عليه الصلاة والسلام بمجامع ثوبه وحمائل
سيفه وقال : ما أنت منته يا عمر حتى ينزل الله بك الخزى والنكال ما أنزل الله
بالوليد بن المغيرة ؟

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله جئت لأؤمن بالله ورسوله وأشهد
أنك رسول الله •

فكبر النبى عليه الصلاة والسلام تكبيرة سمعها أهل المسجد • وكبر أصحاب
رسول الله ﷺ تكبيرة سمعت بطرف مكة •

وضرب رسول الله ﷺ بيده صدر عمر حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول : اللهم اخرج ما في صدر عمر من غل وأبدله إيماناً •

وتذكر عمر أشد أهل مكة لرسول الله ﷺ عداوة حتى يأتيه ويخبره أنه قد أسلم فذكر أبو جهل بن هشام فجاءه ودق عليه بابه فقال : من بالباب ؟

قال عمر : عمر بن الخطاب •

فخرج إليه وقال : مرحباً وأهلاً بابن أختي ما جاء بك ؟

قال عمر : جئت لأخبرك وأبشرك ببشارة •

قال أبو جهل : وما هي يا ابن أختي ؟

قال عمر بن الخطاب : اني قد آمنت بالله وبرسوله محمد ﷺ وصدقت ما جاء به •

فضرب أبو جهل الباب في وجه عمر وقال : قبحك الله وقبح ما جئت به •

وجاء عمر رجلاً آخر من أشراف قريش وأعلمه أنه قد أسلم فلم يصبه منه شيء وقال له : تحب أن يعلم إسلامك ؟

قال عمر : نعم •

قال : اذا جلس الناس في الحجر واجتمعوا فائت جميل بن معمر (كان لا يكتُم السر) فقل له فيما بينك وبينه اني صبت •

فلما اجتمعت قريش في الحجر جاء عمر جميل بن معمر فدنا منه وأخبره فرفع صوته بأعلاه وقال : ألا ان عمر بن الخطاب قد صبأ • فقال عمر من خلفه : كذب ولكني أسلمت وشهدت أنه لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله •

فقامت قريش فلم يزل يقاتلونه ويقاثلهم حتى قام خاله أبو جهل بن هشام على الحجر فأشار بكمه وقال : ألا اني أجرت ابن أختي •

فانكشف عنه الناس فصار بعد ذلك يرى الواحد من المسلمين يضرب عمر

لا يضرب فقال في نفسه : ما هذا بشيء حتى يصيبني ما يصيب المسلمين •
فأمهل حتى جلس الناس في الحجر ووصل الى خاله أبي جهل وقال له :
جوارك عليك رد •

فقال أبو جهل : لا تفعل يا ابن أختي •
فقال عمر : بل هو ذاك •

فقام الناس فما زال يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس وأعياء وهم على
رأسه فقال عمر : افعلوا ما بدا لكم فلو كنا ثلاثمائة نفر تركناها لكم أو تركتموها
لنا (يعني مكة) •

وبينما هم كذلك أقبل خاله العاص بن وائل السهمي عليه حلة فتسائل :
ويحكم ما شأنكم ؟

قالوا : صبا عمر •

قال العاص بن وائل : فمه • • رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون ؟
أثرون بنى عدى بن كعب مسلمين لكم صاحبكم هكذا ؟ خلوا عن الرجل •

فانفرجوا عن عمر بن الخطاب كأنهم ثوب كشط عنه • • فقال عمر :

الحمد لله ذي المن الذي وجبت	له علينا أياد ما لها غير
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا	صدق الحديث نبي عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى	ربي عشية قالوا : قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل	بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة	والدمع من عينها عجلان بيتدر
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها	فكاد تسبقني من عبرة درر
فقلت : أشهد أن الله خالقها	وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة	وفي الأمانة ما في عوده خور

ولما أسلم عمر بن الخطاب قال المشركون : لقد انتصف القوم منا •

ونزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال : يا محمد لقد استبشر
أهل السماء بإسلام عمر •

وكان المسلمون لا يستطيعون أن يصلوا بالكعبة آمنين حتى أسلم عمر بن
الخطاب فقال : يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : بلى والذي نفسى بيده انكم على الحق
ان متم وان حييتم •

قال عمر : ففيم الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق ما بقى مجلس كنت أجلس
فيه بالكفر الا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف • والذي بعثك بالحق
لتخرجن والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم •

٣٣

وخرج أصحاب رسول الله ﷺ في صفين حمزة بن عبد المطلب في أحدهما
وعمر بن الخطاب في الآخر فكان لهم كديد ككديد الطحين (كان لهذا الجمع غبار
ثائر من الأرض لشدة وطء الأقدام) حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قريش الى
حمزة وعمر فأصابتهما كآبة لم يصبهما مثلهما • فطاف رسول الله ﷺ بالببيت وصلى
الظهر معلنا • ثم رجع ومن معه الى دار الأقم بن أبي الأرقم • فقال النبي
عليه الصلاة والسلام في استبشار لعمر : فرق الله بك بين الحق والباطل أيها
الفاروق •

ولما سمع المهاجرون الى الحبشة أن اخوانهم المسلمين أصبحوا يصلون
ويقرأون القرآن جهرا في الكعبة استبشروا بإسلام عمر بن الخطاب وعادوا
الى مكة •

ورأى النبي عليه الصلاة والسلام أن بعض المسلمين كان أقوى من بعض
بالمال والعشيرة فأخى بينهم على الحق والمساواة فأخى بين أبي بكر وعمر بن
الخطاب وأخى بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأخى بين عثمان بن
عفان وعبد الرحمن بن عوف وأخى بين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود
وبين عبيدة بن الحارث وبلال بن رباح وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص
وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة بن عتبة وبين سعيد بن زيد

ولمحة بن عبيد الله وبين علي بن أبي طالب ونفسه ﷺ •• وقال : أما ترضى
أكون أخاك ؟

فقال علي في ابتهاج : بلى يا رسول الله رضيت •

فقال رسول الله ﷺ : فأنت أخى في الدنيا والآخرة •

وهاجر الى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلا فيهم أبناء واخوة ألد أعداء رسول
الله ﷺ كآبى سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وعتبة بن ربيعة وسهيل بن
عمرو والعاص بن وائل • ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا
واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا قرارا فاجتمعوا في دار الندوة وقرروا
بعث عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة الى النجاشي ليخرجوهم من
دارهم التي اطمأنوا فيها وليفتتوهم •

وقال النضر بن الحارث وأبو جهل : ان محمدا قد سخر بأصحابه لما جعلهم
يناجرون الى الحبشة في سبيل وهم كبير •

فأنزل الله تعالى مبشرا ما أعد له للمهاجرين « والذين هاجروا في الله من بعد
ما ظلموا لنبوتهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » •

واجتمع سادة قريش في ناديهم فقال مطعم بن عدي : لقد رد النجاشي
هدايا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وردهما خائبين •

قال أبو سفيان بن حرب : لقد منع النجاشي من لجأ اليه من أصحاب محمد •

قال أبو جهل : ان أبا طالب قد أبى خذلان ابن أخيه واجماعه لفراقنا في
ذلك وعداوتنا •

قال عتبة بن ربيعة : لقد فرق محمد جمعنا وسفه أحلامنا وسب آلهمتنا •

قال أبو جهل بن هشام : دعونا نسير الى أبي طالب ونتحدث معه هذه المرة •

فمضى المطعم بن عدي وأبو البختري وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب

والعاص بن وائل وأبو جهل وأمّية بن خلف •• فقال أبو جهل : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأحمله فخذك لك ولدا (أي بأن تتبناه) وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل •

فقال أبو طالب : والله لبئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله لن يكون أبدا • رأيتم ناقة تحن إلى فصيلها ؟

قال المطعم بن عدى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا •

فقال له أبو طالب : والله ما أنصفوني ولكن قد أجمعت (قصدت خذلاني) ومظاهرة القوم (معاونتهم على) فاصنع ما بدا لك •

فقال المطعم بن عدى : فارسل إليه فلنعطه النصف •

فبعث أبو طالب زيد بن حارثة إلى رسول الله ﷺ فجاء • فقال أبو طالب : يا ابن أخي هؤلاء عمومتك وأشرف قومك وقد أرادوا ينصفونك •

قال النبي عليه الصلاة والسلام : قولوا أسمع •

قال أبو جهل بن هشام : تدعنا وآلهتنا وندعك والهك •

قال أبو طالب : لقد أنصفك القوم فاقبل منهم •

قال رسول الله ﷺ : رأيتمكم ان أعطيتم هذه أنتم معطى كلمة ؟ ان أنتم تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم ؟

قال أبو جهل : ان هذه الكلمة مريحة نعم وأبيك لنقولها وعشر أمثالها •

قال رسول الله ﷺ : قولوا لا إله إلا الله •

فاشمازوا ونفروا منها وغضبوا •• وقال أبو سفيان بن حرب ، واصبروا عني آلهمكم ان هذا لشيء يراد •

وخرجوا من عند أبي طالب وهم يقولون : لا تعودوا اليه أبدا وما خير من
أن نغتال محمدا •

اجتمع أشراف قريش على قتل رسول الله ﷺ فلما علم عبيدة بن الحارث
بدلك انطلق الى عمه أبي طالب واخبره فجمع أبو طالب فتيانا من بنى هاشم
وبنى عبد المطلب •• ثم قال : ليأخذ كل منكم حديدة صارمة ثم يتبعني اذا دخلت
الاجلس فليجلس كل فتى منكم الى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية
(أبو جهل) فانه لم يغيب عن شر ان كان محمد قد قتل •

فقال فتيان بنى هاشم وبنى عبد المطلب : نفعل •
وجاء زيد بن حارثة وعبيدة بن الحارث فوجدوا أبا طالب والعباس وحمزة
على تلك الحال فسأل أبو طالب : يا زيد أرأيت ابن أخى ؟

قال زيد بن حارثة : نعم كنت معه آنفا •
فقال أبو طالب : لا أدخل بيتي أبدا حتى أراه •

فخرج عبيدة بن الحارث وزيد والعباس وحمزة وأبو طالب حتى أتوا
رسول الله ﷺ فقال أبو طالب : يا ابن أخى أين كنت ؟ أنت بخير ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : نعم •
فقال أبو طالب : أدخل بيتك •

فدخل رسول الله ﷺ داره • ولما أصبح أبو طالب غدا رسول الله ﷺ فأخذه
من يده فوقف على أنديه قريش ومعه فتيان من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ••
وقال : يا معشر قريش •• هل تدرون ما هممت به ؟

قالوا : لا ••

قال أبو طالب للفتيان : اكشفوا عما في أيديكم •

فكشفوا •• فإذا كل فتى معه حديدة صارمة •

فقال أبو طالب : والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحدا حتى تنقسانى نحن وأنتم •

فانكسر القوم وكان أشدهم انكسارا أبو جهل بن هشام •

وسمع عبيدة بن الحارث أن سادة قريش اجتمعوا في خيف بنى كنانة بالأبطح ويسمى محصبا (بأعلى مكة عند المقابر) وانهم اجتمع رأيهم على منابذة بنى هاشم وبنى عبد المطلب واخراجهم الى شعب أبى طالب والتضييق عليهم بمنع حضور الأسواق وأن لا يناكحوهم وأن لا يقبلوا لهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموا رسول الله ﷺ لاقتل وأنهم كتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة (توكيدا على أنفسهم) فلما سمع عبيدة بن الحارث بذلك أسرع الى عمه أبى طالب وأخبره بما سمع • فجمع بنى هاشم وبنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا النبی عليه الصلاة والسلام الى شعبهم وأن يمنعوه ممن أرادوا قتله فخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم للشعب الا أبا لهب فإنه ظاهر عليهم قريشا • وكان ذلك سنة سبع من مبعث النبی عليه الصلاة والسلام • وخربت قريش حصارا حول الشعب ومنعوا من فيه من الخروج ومنعوا الناس من الدخول أو الاتصال بمن قبل حماية رسول الله ﷺ • • ونفذ الطعام والماء وجهد من كان في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وأوراق الشجر • وكانت العير اذا قدمت مكة يأتى أحد أصحاب النبی عليه الصلاة والسلام السوق ليشتري شيئا من الطعام يقتاته فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يده شيء يعللهم به ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم •

وربط بنو هاشم وبنو عبد المطلب حجارة على بطونهم تخفيها لآلام الجوع • ومضت ثلاث سنوات فزلزلوا زلزالا شديدا وقال بعض المسلمين : يا رسول الله ادع لنا ربك لكى يجعل لنا مخرجا من هذا البلاء •

فطلب النبی عليه الصلاة والسلام من عمه أبى طالب وعبيدة بن الحارث وشيوخ بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن يذهبوا الى أشراف قريش ويخبروهم أن الله قد سلط الأرضة على صحيفتهم الظالمة فلحست كل ظلم وجور وقطيعة رحم ويبقى ما ذكر به الله •

فقال شيوخ بنى هاشم وبنى عبد المطلب لأبى طالب : فما ترى ؟

قال أبو طالب : أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش فتذكروا لهم قبل أن يبلغهم الخبر .

فخرجوا حتى أتوا المسجد على خوف من قريش فلما رأتهم قريش ظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ للقتل .

فقال أبو طالب : جرت أمور بيننا وبينكم فاتوا بصحيفتكم التى فيها موثيقكم فلعله ان يكون بيننا وبينكم صلح (مخرج يكون سببا للصلح) .

فقال أبو جهل بن هشام : لقد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم .

فقال أبو طالب : انما أتيتكم فى أمر نصف بيننا وبينكم (أمر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم) ان ابن أخى أخبرنى أن هذه الصحيفة التى بين أيديكم قد بعث الله تعالى عليها دابه لم تترك فيها من جور أو ظلم أو قطيعه رحم وبقي فيها كل ما ذكر به الله تعالى .

قال النضر بن الحارث : واذا كان ابن أخيك كاذبا ؟

قال أبو طالب : ان كان الحديث كما يقول فأفيقوا فقد نزعتم (رجعتم عن سوء رأيكم) وان لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم .

قال أبو جهل والنضر بن الحارث وأميه بن خلف وعقبه بن أبى معيط : رضينا بالذى تقول .

— أنصفتنا .

فانطلق المطعم بن عدى وأحضر الصحيفة فوجد الأرضة قد أكلت ما فيها من قطيعه رحم وظلم وجور وتركت اسم الله تعالى . فقال أبو طالب : يا معشر

قربش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة والاساءة ؟

ففسكوا رءوسهم •• ثم قالوا : انما تأتوننا بالسحر والبهتان •

فقال عبيدة بن الحارث : ان أوني بالكذب والسحر غيرنا •

ودخل أبو طالب وعبيدة بن الحارث وشيوخ بني هاشم وبني عبد المطلب بين أستار الكعبة وقالوا : اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا •

فمزق المطعم بن عدى الصحيفة وقال هو وزهير بن أبي أمية (ابن عاتكة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ) وهشام بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو البختري : نحن برآء مما في هذه الصحيفة •

وانطلقوا ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى شعب أبي طالب •• فقال عبيدة ابن الحارث بأعلى صوته : لقد صدق رسول الله ﷺ ومزقت الصحيفة •

وخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب من الشعب الى دورهم في حراسة زهير بن أبي أمية وهشام بن عمرو والمطعم بن عدى وزمعة بن الأسود وأبي البختري •

وقدم مكة ضماد وكان من أزد شنوءة وكان يرقى من الريح (اللمة من الجن) فسمع أبا جهل وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأميمة بن خلف سفهاء مكة يقولون : ان محمدا مجنون •

فقال ضماد : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي •

فلقيه عبيدة بن الحارث وصحبه الى رسول الله ﷺ • فلما لقيه قال ضماد الأزدي : يا محمد انى أرقى من الريح فان الله يشفى على يدي من شاء فهل لك ؟

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ان الحمد لله ونستعينه من يهد الله فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله (قال ذلك ثلاث مرات) •

فقال ضماد : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء •• هات يدك أبايعك على الاسلام •

فبايعه رسول الله ﷺ وقال : وعلى قومك ؟

فقال ضماد الأزدي : وعلى قومي •

وجاء الى مكة الطفيل بن عمرو الدوسي لزيارة صديقه عمرو بن حمة وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فمشى اليه أبو جهل بن هشام وأبى بن خلف والنعاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب فقالوا له : يا طفيل انك قدمت بلدنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعصل (اشتد أمره) بنا وقد فرق جماعتنا وثتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وأمه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه شيئا وما زال سادات قريش به حتى أجمع أن لا يسمع من رسول الله ﷺ شيئا ولا يكلمه • بل وحشنا أذنيه كرسفا (قطنا) •

وغدا الطفيل بن عمرو الى المسجد فاذا بالنبي عليه الصلاة والسلام يصلى عند الكعبة فقام قريبا منه عند الكعبة فجاءه : « بسم الله الرحمن الرحيم • تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير • الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور • الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور • ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير • ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين • وأعتدنا لهم عذاب السعير • وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير • اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفر • تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير • قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا فى ضلال كبير » •

فقال الطفيل بن عمرو : واأكلى أُمى والله انى لرجل شاعر لا يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من الرجل ما يقول ؟ فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته •

ومكث الطفيل حتى انصرف رسول الله ﷺ الى داره فتبعه ودخل وراءه ••
وتال :

يا محمد ان قومك قد قالوا لى عنك كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوننى أمرك حتى حشوت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك • ولكن الله شاء أن أسمع فسمعت قولا حسنا فاعرض على أمرك •

فعرض عليه رسول الله ﷺ الاسلام وتلا عليه قوله تعالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم • والطور • وكتاب مسطور • فى رق منشور •
والبيت المعمور • والسقف المرفوع • والبحر المسجور • ان عذاب ربك لواقع •
ما له من دافع • يوم تمور السماء مورا • وتسير الجبال سيرا • فويل يومئذ
للمكذبين • الذين هم فى خوض يلعبون • يوم يدعون الى نار جهنم دعا •
دذه النار التى كنتم بها تكذبون • أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون • اصلوها
فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون • ان المتقين فى
جنات ونعيم • فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم عذاب الجحيم • متكئين على سرر
مصفوفة وزوجناهم بحور عين » •

فقال الطفيل بن عمرو : والله ما سمعت قولا أحسن منه ولا أمرا أعـدل
منه وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

ثم أردف : يا رسول الله انى رجل مطاع فى قومه وأنا راجع اليهم وداعيهم
انى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عوناً عليهم فيما أدعوهم اليه •

فقال النـبى عليه الصلاة والسلام : اللهم اجعل له آية •

ولما هم الطفيل بن عمرو بالسـير الى دوس لقيه أبو جهل بن هشام
فقال له :

— يا أبا عمرو بلغنى أنك ذهبت أتى صاحبنا وسمعت شعره •

فقال الطفيل بن عمرو : لقد قرأ رسول الله ﷺ آيات من الذكر الحكيم •

فقال أبو جهل فى عجب : ماذا قلت ؟ !

رسول الله •• الذكر الحكيم •• لقد صبأت •

فقال الطفيل بن عمرو : بل اتخذت لنفسى أمرا وأسلمت وهدانى الله الى

نوره •

فقال أبو جهل : واللات لقد سحرك •• خبيك الله •

فتركه الطفيل بن عمرو وانطلق الى دوس •

وعلمت قريش أن أبا طالب قد اشتكى فخشى أشراف قريش أن يموت
الشيخ قبل أن يأخذ لهم على رسول الله ﷺ ويعطيه منهم •• فمضى عتبة بن ربيعة
والعاص بن وائل وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان بن حرب وشيبة بن ربيعة
وأمية بن خلف •

فقال أبو سفيان بن حرب : يا أبا طالب انك منا حيث قد علمت وقد حضرك
ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا
ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا ولندعه ودينه •

فبعث أبو طالب عبدة بن الحارث الى النبی عليه الصلاة والسلام فجاء ••
فقال أبو طالب :

— يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا انيك ليعطوك وليأخذوا منك •

فقال رسول الله ﷺ :

— تقولون : لا اله الا الله وتقلعون عما تعبدون من دونه •

فصفق أشراف قريش بأيديهم •• وقالوا : يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة
الها واحدا ؟ ان أمرك لعجب •

وتساءل أبو جهل بن هشام : أيسع لحاجاتنا جميعا اله واحد ؟

وقال العاص بن وائل : سلنا غير هذه الكلمة •

قال أبو طالب : يا ابن أخى هل من كلمة غيرها ؟ فان قومك قد كرهوها •

فقال النبی علیه الصلاة والسلام يا عم ما أنا بالذى يقول غيرها •

ثم أردف ﷺ :

— لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها •

فقال أبو سفيان بن حرب : والله ما هذا الرجل يعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه •

وعند قيامهم قال العاص بن وائل السهمي : دعوه فانما هو رجل أبتـر (لا عقب له) لو مات انقطع ذكره وأسترحتم منه •

وتفرق أشراف قريش •

فأنزل الله تعالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم • انا أعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر •
ان شأنك هو الأبتـر » •

ودخل رسول الله ﷺ على زوجته خديجة بنت خويلد وهي مريضة فقال لها :

— يا خديجة أتكهين ما أرى منك قد يجعل الله في الكره خيرا ؟ أشعرت أن الله قد أعلمني أنه سيزوجني (أما علمت أن الله قد زوجني معك) في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون ؟

فقالت خديجة : الله أعلمك بهذا يا رسول الله ؟

قال النبی علیه الصلاة والسلام : نعم •

قالت خديجة بنت خويلد : بالرفاء والبنين •

ولما ثقلت وطأة المرض على أبي طالب أسرع أشراف قريش اليه • كانوا يختسون أن يلح عليه رسول الله ﷺ فينطق بشهادة الحق قبل موته فالتفوا حوله • ولما أقبل رسول الله ﷺ وكان بين أبي طالب وأشراف قريش فرجة تسع الجالس فخشى أبو جهل أن يجلس النبي عليه الصلاة والسلام في تلك الفرجة فيكون أرقى منه فوثب أبو جهل فجلس فيها • فلم يجد رسول الله ﷺ مجلسا قرب أبي طالب فجلس عند الباب • • وقال : خلوا بيني وبين عمي •

فقال سادات قريش : ما نحن بفاعلين وما أنت بأحق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك •

فقال أبو طالب : يا ابن أخي ما تريد من قومك ؟ هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك •

فقال رسول الله ﷺ : يا عم انما أريد أن يقولوا : لا اله الا الله •

قال أبو طالب : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا • يا معشر قريش أدايعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا •

فلما سمع النبي عليه الصلاة والسلام ذلك طمع فيه وقال : أي عم فأنت فقلها أستحل لك الشفاعة يوم القيامة •

فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ قال له : والله يا ابن أخي لولا مخافة السبة (أي العار عليك وعلى ابن أبيك بعدى) وأن تظن قريش أني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها وأقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك •

فقال سادة قريش : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟

فقال أبو طالب :

— أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهشام وعبد مناف •

وشهق شهقة فاذا به في الغابرين •

فقال العباس بن عبد المطلب : يا ابن أخي والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بقولها •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لم أسمع •

وبعد أيام من موت أبى طالب ماتت الطاهرة سيدة قريش خديجة بنت خويلد فنزل رسول الله ﷺ فى حفرتها ودفنت بالحجون وكان لها من العمر خمس وستون سنة •

وتتابعت على النبى عليه الصلاة والسلام المصائب فقد كان أبو طالب له غصدا وحرزا ومنعة وناصره من قومه • وكانت خديجة له ﷺ وزير صدق على الابتلاء يسكن اليها • فلما مات أبو طالب وخديجة فقد رسول الله ﷺ الرعاية والحماية والعطف والمنعة والتأييد •

ولما خرج رسول الله ﷺ من داره اعترضه سفيه من قريش ونثر على رأسه ترابا فدخل النبى عليه الصلاة والسلام بيته والتراب على رأسه فقامت اليه ابنته زينب بعس (قدح كبير) من ماء فغسلت وجهه ويديه وهى تبكى ورسول الله ﷺ يقول :

— لا تبكى يا بنية فان الله مانع أباك •

وعندما رأى رسول الله ﷺ قريشا تهجموا قال : يا عم ما أسرع ما وجدت نفسك •

ولما بلغ عبد العزى بن عبد المطلب ذلك قام وقال : يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذا كان أبو طالب حيا فاصنعه • لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى أموت •

وسب ابن العيطلة (الحارث بن عيطلة) رسول الله ﷺ فأقبل عبد العزى (أبو لهب) ونال منه فولى وهو يصيح : يا معشر قريش صبا أبو عتبة •

فأقبلت قريش على أبى لهب وقالوا له : أفارقت دين عبد المطلب ؟

فقال أبو لهب :

— ما فارقنا دين عبد المطلب ولكن أمنسح ابن أخى أن يضام حتى يمضى
لما يريد •

فقالوا هازئين : قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم •

فمكث النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك أياما لا يتعرض له أحد من
قريش وهابوا أبا لهب •

وجاء أبو جهل وعقبة بن أبي معيط إلى أبي لهب فقالا له :
— أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ (المحل الذى يكون فيه) يزعم أنه
فى النار •

فذهب عبد العزى إلى رسول الله ﷺ وسأله : يا محمد أين مدخل
عبد المطلب ؟

قال رسول الله ﷺ : مع قومه •

فرجع أبو لهب إلى أبي جهل وعقبة بن أبي معيط وقال لهما : سألته فقال
مع قومه •

فقالا : يزعم أنه فى النار •

فعاد أبو لهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال : يا محمد أيدخل
عبد المطلب النار ؟

فقال رسول الله ﷺ : ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار •
فقال أبو لهب : لا برحت لك إلا عدوا أبدا وأنت ترعم أن عبد المطلب فى
النار •

واشتدت عند ذلك عداوة قريش على النبي عليه الصلاة والسلام •

وفى الشهر الذى ماتت فيه خديجة بنت خويلد (شهر رمضان) تزوج النبي
عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمئة درهم •
وفى شهر شوال خطب النبي عليه الصلاة والسلام عائشة بنت أبى بكر •

وقدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلا من أهل نجران (قوم من النصاراء ونجران بلدة بين مكة واليمن) حين بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة • فحببهم عبيدة بن الحارث الى المسجد فوجدوا النبي عليه الصلاة والسلام فجلسوا اليه وسألوه وكلموه •

وكان رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ كما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا وآمنوا وعرفوا منه ما هو موصوف به في كتابهم • فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمّية بن خلف فقالوا لهم : خبيكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون (تنظرون الأخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل) فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال ؟ لا نعلم ركبا أحق (أقل عقلا) منكم •

فقالوا لرجال قريش : سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه •

فأنزل الله تعالى :

« واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » •

(٥)

في الشهر الذي ماتت فيه خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ (شهر رمضان) ذهبت خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون الى النبي عليه الصلاة والسلام وقالت له : يا رسول الله ألا تتزوج ؟

قال رسول الله ﷺ : من ؟

قالت خولة بنت حكيم : ان شئت بخرا وان شئت شيا •

قال النبي عليه الصلاة والسلام : فمن البكر ؟

قالت خولة بنت حكيم : أحق خلق الله بك .. بنت أبي بكر .

فتساءل رسول الله ﷺ : ومن النيب ؟

قالت خولة بنت حكيم : سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول .

قال رسول الله ﷺ : فاذهبي فاذكريهما على .

فذهبت خولة الى دار زمعة ودخلت على سودة فقالت لها :

— ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟

فتساءلت سودة بنت زمعة : وماذا ؟

قالت خولة بنت حكيم : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه .

قالت سودة بنت زمعة : وددت ادخني على أبي فاذكري له .

فدخلت خولة بنت حكيم على زمعة وكان شيخا كبيرا فقال : من هذه ؟

قالت خولة : خولة بنت حكيم .

فتساءل زمعة :

— فما شأنك ؟

قالت خولة بنت حكيم : أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة .

قال زمعة : كفء كريم .

ثم عاد يتساءل : ما تقول صاحبتك ؟

قالت خولة بنت حكيم : تحب ذلك .

قال زمعة : أدعيها الي .

فدعتها .. فقال زمعة : أي بنية ان هذه ترعم أن محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم أتحبين أن أزوجه منه ؟

• قالت سودة بنت زمعة : نعم •

• قال زمعة لخولة بنت حكيم : ادعيه لى •

فجاء رسول الله ﷺ • • فزوجه زمعة ابنته سودة • وأصدقها النبي عليه الصلاة والسلام أربعمئة درهم •

• وذهبت خولة بنت حكيم الى أم رومان أم عائشة فقالت لها :

— ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير ؟

فقالت زوجة أبى بكر : وماذاك ؟

• قالت خولة بنت حكيم : قد أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة •

• قالت أم رومان : انتظرى أبا بكر •

فلما جاء أبو بكر قالت خولة بنت حكيم : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟

• فسأله أبو بكر : وهل تصلح (تحل له) إنما هى بنت أخيه •

• فرجعت خولة بنت حكيم الى النبي عليه الصلاة والسلام فذكرت له ذلك • فقال رسول الله ﷺ : ارجعى اليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أختى فى الاسلام وابنتك تصلح لى (تحل) •

• فعادت خولة بنت حكيم الى أبى بكر وذكرت له ذلك • • فقالت أم رومان :

— ان مطعم بن عدى كان ذكرها (عائشة) على ابنه جبير ووعدده والله ما وعد وعدا قط فأخلفه (تعنى زوجها أبا بكر) •

فذهب أبو بكر الى دار مطعم بن عدى ودخل عليه وعنده امرأته أم ابنه جبير فتسأله أبو بكر :

— ما تقول فى أمر هذه الجارية ؟

فأقبل المطعم بن عدى على زوجته وقال لها : ما تقولين يا هذه ؟

فأقبلت زوجة المطعم بن عدى وقالت :

— لعننا ان أنكحنا هذا الفتى اليكم تصيبه وتدخله في دينك الذي أنت عليه •

فقال أبو بكر لمطعم بن عدى : ما تقول أنت ؟

قال مطعم بن عدى : انها تقول ما تسمع •

فقام أبو بكر وليس في نفسه من الوعد الذي وعده المطعم بن عدى •

ورجع أبو بكر فقال لخولة بنت حكيم :

— ادعى لى رسول الله ﷺ •

فذهبت خولة بنت حكيم فلم تجد النبي عليه الصلاة والسلام في داره ولقيت عبيدة بن الحارث فقالت له :

— ألم تر رسول الله ﷺ •

قال عبيدة بن الحارث : في المسجد •

وقبل أن يتم عبيدة بن الحارث حديثه مع خولة بنت حكيم أقبل النبي عليه الصلاة والسلام • • فدعته ﷺ فزوجه أبو بكر عائشة (كانت بنت ست أو سبع سنين) في شهر شوال •

اشتدت عداوة قريش لرسول الله ﷺ بعد أن أصبح بلا معين ولا ناصر (بعد موت عمه أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد) فخرج النبي عليه الصلاة والسلام في شوال سنة عشر من النبوة ومعه زيد بن حارثة الى ثقيف يئتمس منهم النصر والقيام معه على من خالفه من قومه •

فلما انتهى اليهم عمد الى سادات ثقيف وأشرفهم وكانوا ثلاثة : عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي • وجلس رسول الله ﷺ اليهم وكلمهم فيما جاءهم به (نصرته على الاسلام والقيام معه على ما خالفه من قريش) •

فقال حبيب بن عمرو : انى أمرط تياب الكعبة (ينتفها ويقطعها) ان كان الله أرسلك يا محمد •

وقال عبد ياليل بن عمرو : والله لا أكلّمك أبداً لنّ كنت رسول من الله كما تقول .. لأنّك أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ولنّ كنت تكذب على الله ما ينبغي لى أن أكلّمك •

وقال مسعود بن عمرو : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ؟

فقام رسول الله ﷺ وقد آيس من خبر ثقيف •

فقال رسول الله ﷺ : اكنموا على •

فقد كره النبي عليه الصلاة والسلام أن يبلغ قريش ذلك فيشتد أمرهم عليه •

فقال بنو عمرو : أخرج من بلدنا والحق بمنجائك من الأرض •

وأغروا به (سلطوا عليه) سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله ﷺ بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا أرضخوهما (دقوهما بالحجارة) حتى أدموا رجليه ﷺ • وكان النبي عليه الصلاة والسلام اذا أزلفته الحجارة (وجد ألما) تعد الى الأرض فيأخذون بعصديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون • كل ذلك وزيد بن حارثة يقى رسول الله ﷺ بنفسه حتى شج رأسه شجاجا •

وعمد النبي عليه الصلاة والسلام الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه • فرجع عن النبي عليه الصلاة والسلام من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فاستظل رسول الله ﷺ في حبله (شجرة كرم تحمل العنب) وجلس • وقال ﷺ :

« اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك » •

ولما رأى رسول الله ﷺ عتبة وشيبة ابنى ربيعة كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله • فلما رأياه عليه الصلاة والسلام وما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لشيبة وقالوا •

— يا عداس خذ تنطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه •

ففعل عداس •• ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ •• ثم قال له : كل

فلما وضع النبي عليه الصلاة والسلام فيه يده قال : بسم الله •
ثم أكل ﷺ • فنظر عداس الى وجهه عليه الصلاة والسلام وقال :
— والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة •

فتساءل النبي عليه الصلاة والسلام : من أى البلاد أنت ؟ ودينك يا عداس ؟
قالت عداس : أنا نصراني وأنا من أهل نينوى (قرية على شاطئ دجلة في أرض الموصل) •

فقال رسول الله ﷺ : أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟
فتساءل عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فأنى والله خرجت منها
(بمعنى نينوى) وما فيها عشرة يعرفون ما متى ؟ فمن أين عرفت ابن متى وأنت
أمى وفي أمة أمية ؟

فقال رسول الله ﷺ : ذلك أخى كان نبيا وأنا رسول الله والله أخبرنى خبره وما وقع له مع قومه •

وعد يونس بن متى قومه بالعذاب بعد أربعين ليلة لما دعاهم فأبوا أن يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة الأنبياء اذا واعدت قومها العذاب خرجت عنهم •
فلما فقدوه قذف الله تعالى في قلوبهم التوبة (الأيمان بما دعاهم اليه يونس) •

أكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه •
فقال عتبة لأخيه شيبه : أما غلامك فقد أفسده عليك •

فلما جاءهما عداس قال : ويلك يا عداس •• مالك ؟ تقبل يدي هذا الرجل ورأسه ولم نرك نعلته بأحدنا ؟

قال عداس : يا سيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا •

قال عتبة وشيبة : ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينيه •

قال عداس : هذا رجل صالح أخبرنى بشىء عرفته من شأن رسول بعثه الله أنينا يدعى يونس بن متى •

فضحك عتبة وشيبة ابنا ربيعة به وقالوا : لا يفتنك عن نصرانيتك رجل خداع •

وانصرف رسول الله ﷺ من الطائف الى مكة فلما كان بقرن الثعالب رفع رأسه فاذا بسحابة قد أظلمته فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادى وقال :

— ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت •

ثم نادى ملك الجبال فسلم على رسول الله ﷺ وقال :

— يا محمد قد بعثنى الله •• ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثنى اليك ربك لتأمرنى ما شئت ان شئت أطبقت عليهم الأخشبين (جبلا مكة) •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا •

فقال ملك الجبال : أنت كما سماك ربك « رءوف رحيم » •

ومشى رسول الله ﷺ حتى اذا كان بنخلة (محلة بين مكة والطائف وهناك يناديان بهذا الاسم أحدهما نخلة الشامية والثانى نخلة اليمانية) فقام النبى عليه الصلاة والسلام من جوف الليل يصلى فمر نفر من الجن (سبعة وقيل تسعة من جن نصيبين وهى مدينة بالشام وقيل باليمن) أثنى عليهما رسول الله ﷺ ودعا الله تعالى أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويكثر مطرها (فاستمعوا له ﷺ وهو يقرأ القرآن فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا الى ما سمعوا • فقص الله تعالى خبرهم على نبيه ﷺ :

« واذا صرفنا نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين • قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد

موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم • يا قومنا أجيئوا
داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » •

وأقام رسول الله ﷺ بنخلة أياما فقال له زيد بن حارثة : يا رسول الله كيف
ندخل مكة عليهم وهم أخرجوك ؟

قال رسول الله ﷺ يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله
ناصر دينه ومظهر نبيه •

وانطلق رسول الله ﷺ الى مكة وزيد في رفقته فلما بلغا غار حراء نزل النبي
عليه الصلاة والسلام عن راحلته وبعث زيد بن حارثة الى الأخنس بن شريق
(كان يعطى رسول الله ﷺ من طرف اللسان حلاوة وكان يظهر له الود فاذا انصرف
النبي عليه الصلاة والسلام وجلس الأخنس الى المشركين نال من رسول الله ﷺ)
وطالب منه أن يجير النبي عليه الصلاة والسلام بمكة • • فقال الأخنس بن شريق :
ان الأخنس يعتذر بأنه حليف قريش والحليف لا يجير على صميمها •

فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة الى سهيل بن عمرو ليجيره • • فقال
سهيل : ان بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب بن لؤى •

فبعث النبي عليه الصلاة والسلام زيدا الى المطعم بن عدي ليجيره • •
فقال المطعم : نعم • • قل له فليأت •

فذهب النبي عليه الصلاة والسلام فبات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج
مع رسول الله ﷺ هو وبنوه (ستة) متقلدى السيوف جميعا فدخلوا المسجد وقام
المطعم بن عدي وقال لرسول الله ﷺ : طف •

وأشار الى بنيه وقال :

— كونوا عند ركن البيت فانى قد أجرت محمدا فلا يهجه أحد منكم •

فانتهى النبي عليه الصلاة والسلام الى الركن فاستلمه وصلى ركعتين •

وأقبل أبو سفيان بن حرب فقال لمطعم بن عدي : أمجير أم تابع ؟

قال أبو سفيان بن حرب : اذا لا تخفر •• أجرت من أجرت •

فلما انصرف رسول الله ﷺ •• انصرف المطعم بن عدي وبنوه معه •
فلما رأى أبو جهل بن هشام رسول الله ﷺ قال للمشركين الذين عند
الكعبة :

— هذا نبيكم يا بني عبد مناف •

فقال عتبة بن ربيعة : وما تنكر أن يكون منا نبي أو ملك •

فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام •• قأتاهم وقال : أما أنت يا عتبة بن ربيعة
فوالله ما حميت لله ورسوله ولكن حميت لأنفك •

ونظر رسول الله ﷺ الى أبي جهل وقال :

— وأما أنت يا أبا جهل بن هشام فوالله لا يأتي عليك غير كبير (كثير) من
الدهر حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً •

ثم نظر النبي عليه الصلاة والسلام الى أشراف قريش واستطرد : وأما أنتم
يا معشر الملاء من قريش فوالله لا يأتي عليكم غير كبير (كثير) من الدهر حتى
تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون •

(٦)

نام رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ (فاختة بنت أبي طالب زوجة
هيرة بن أبي وهب) فقامت فلم تجد النبي عليه الصلاة والسلام فلما فقدته من
الليل امتنع منها النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش فتفرقت بنو
عبد المطلب يلتمسونه ﷺ • ووصل العباس بن عبد المطلب الى ذي طوى وجعل
يصرخ : يا محمد •

فأجابه رسول الله ﷺ : لبيك • لبيك •

فقال العباس : يا ابن أخي عنيت قومك فأين كنت ؟

قال النبي عليه الصلاة والسلام : ما أصابني الا خير •

ودخل رسول الله ﷺ على أم هانئ بغلس وهي على فراشها فقال عليه الصلاة والسلام :

— « تسعرت أنى نمت الليلة في المسجد الحرام فأتانى جبريل عليه السلام فأيقظنى وأخرجنى من المسجد وإذا أنا بدابة وهي البراق وهو نرق انحمار ودون البغل أبيض وفي فخذه جناحان يحفز بهما رجله يضع حافره في منتهى بصره فقال : اركب • فلما وضعت يدي عليه تشامس واستعصى فقال جبريل : يا براق ما ركبك نبي أكرم على الله من محمد فانصب عرقا وانخفض لى حتى ركبتك وجبريل عليه السلام لا يفوتنى حتى انتهينا الى بيت المقدس فأدخل جبريل يده في الصخرة فخرقها وشد به البراق • فنشر لى رهط من الأنبياء فيهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فصليت بهم وكلمتهم وأتيت باناءين أحمر وأبيض فشربت الأبيض فقال لى جبريل عليه السلام : شربت اللبن وتركت الخمر • لو شربت الخمر لغوت أمتك بعدك • ثم ركبت فأتيت المسجد الحرام فصليت به الغداة » •

فتعلقت أم هانئ برداء رسول الله ﷺ وقالت :

— أنشدك الله ابن عم ان تحدثت بهذا الخبر قريشا فيكذبك من صدقك •
يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك •
فقال النبي عليه الصلاة والسلام : والله لأحدثنهموه •

وضرب النبي عليه الصلاة والسلام بيده على رداءه فانتزعه من يدها وخرج رسول الله ﷺ فجلس في المسجد الحرام وهو واجم فرآه أبو جهل بن هشام فتسائل : هل كان من شيء ؟

فقال رسول الله ﷺ : نعم •

فقال أبو جهل : ما هو ؟

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أسرى بى الليلة •

فتسائل أبو جهل بن هشام : الى أين ؟

فقال رسول الله ﷺ : الى بيت المقدس •

فعاد أبو جهل يتسائل : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال رسول الله ﷺ : نعم •

قال أبو جهل : أرأيت ان دعوت قومك لك لتخبرهم لأخبرتكم بما أخبرتنى به ؟

(أراد أبوجهل بن هشام جمع قريش ليسمعوا رسول الله ﷺ يقول لهم ذلك) فقال النبي عليه الصلاة والسلام : نعم •

(وأراد رسول الله ﷺ جمع قريش فيخبرهم ذلك ويبلغهم) •

صاح أبو جهل بن هشام : هيا يا معشر قريش •

فاجتمعوا من أنديتهم • • فقال أبو جهل : أخبر قومك بما أخبرتنى به •

فقال رسول الله ﷺ : انى أسرى بى الليلة •

فقال أهل مكة : الى أين ؟

فقال رسول الله ﷺ : « الى بيت المقدس راكبا البراق صحبة جبريل يضيع خطوه عند أقصى طرفه (حيث ينتهى بصره) فحملت عليه فانطلق بى جبريل فأدخل يده فى الصخرة فخرقها وشد به البراق ثم دخلت المسجد فوجدت ابراهيم الخليل وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء جمعوا لى فصليت بهم • ثم جاءنى جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة هديت وهديت أمتك يا محمد • ثم عرج بنا الى السماء الدنيا فاستفتح لى جبريل ففتح لنا ورأيت هناك آدم أبنا البشر فسلمت عليه فرحب بى ورد على السلام وأرانى أرواح السعداء عن يمينى وأرواح الأشقياء عن شمالى • ثم عرج بى الى السماء الثانية فاستفتح لى فرأيت فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم فلقيتهما وسلمت عليهما فردا على السلام ورحبا بى وأقرا بنبوتى • ثم عرج بى الى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف الصديق فسلمت ورحب بى ثم عرج بى الى السماء الرابعة فرأيت فيها ادريس فسلمت عليه ورحب بى • ثم عرج بى الى السماء الخامسة فلقيت هارون بن عمران فسلمت عليه ورحب بى وأقر بنبوتى • ثم عرج بى الى السماء السادسة فلقيت فيها موسى فسلم على ورحب بى وأقر بنبوتى فلما جاوزته بكى فقلت : ما يبكيك ؟ قال : ان غلاما بعدى يدخل الجنة من أمتة أكثر مما يدخلها من أمتى • ثم عرج بى الى السماء السابعة فلقيت ابراهيم فسلمت عليه ورحب بى وأقر بنبوتى • ثم رفعت الى سدرة المنتهى ثم رفع الى البيت المعمور • ثم عرج بى الى الجبار جل جلاله فدنوت منه حتى كنت بين

قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى • وفرض على خمسين صلاة فرجعت حتى مررت على موسى فقال • بم أمرت ؟ قلت : بخمسين صلاة ، قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فالتفت إلى جبريل كأننى أستشيرهُ فى ذلك فأشهر أن نعم أن شئت • فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عشرة ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عشرة ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت إلى ربى فوضع عشرة ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت إليه : ارجع فاسأل ربك حتى انتهيت إلى أن وضع عنى إلا خمس صلوات كل يوم وليلة ومن يؤديها كاملة ينال ثواب خمسين صلاة ثم رجعت إلى موسى قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك فقلت : سألت ربى حتى استحييت فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى •

صفق أكثر أهل مكة وقالوا : هذا والله العجب المبين والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام وشهرا مقبلة أفيزهد ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟

وأسرع أبو جهل بن هشام إلى أبى بكر فقال له : هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به إلى بيت المقدس ؟

قال أبو بكر : انكم تكذبون عليه •

قال أبو جهل بن هشام : والله إنه ليقوله •

قال أبو بكر : إن كان قاله فقد صدق •

فرماه أبو جهل بنظرة كالخنجر وقال : أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح ؟

قال أبو بكر : نعم إنى أصدقه أبعد من ذلك فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله أنه ليخبرنى أن الخبر يأتى من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه •

وأقبل أبو بكر وأبو جهل .. فقال أبو بكر : يا نبي الله أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس من هذه الليلة ؟

قال رسول الله ﷺ : نعم •

قال أبو بكر : يا نبي الله فصفه لي فاني قد جئته •

فجعل الله لرسوله ﷺ بيت المقدس ينظر اليه دون دار عقيل وينعته •
وأبو بكر يقول : صدقت • أشهد أنك رسول الله •

وكلما وصف النبي عليه الصلاة والسلام منه شيئاً قال أبو بكر : صدقت •
أشهد أنك رسول الله •

حتى انتهى رسول الله ﷺ • قال الأبي بكر : وأنت أبو بكر الصديق •

قال بعض مشركي قريش : أما الصفة فقد أصاب •

وقال المطعم بن عدي : ان أمرك قبل اليوم كان يسيراً غير قولك اليوم وأنا أنسده أنك كذاب • نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعداً أشهراً ونحدر أشهر أتزعم أنك أتيت في ليلة وأددة ؟ واللأت والعزى لا أصدقك وما كان الذي تقول قط •

واحتدم الجدل بين رسول الله ﷺ والمكذبين • فتساءل عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة : يا بني الله ألم تر آية وأنت في طريقك الى بيت المقدس ؟

قال رسول الله ﷺ : وآية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فأنفروهم حس الدابة فنذ لهم بعير فدللتهم عليه • وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بضجنان (جبل بناحية تهامة) مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيته عليه كما كان وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء بها جمل أورق عليه غارثان احدهما سوداء والاخرى برقاء •

فأسرع القوم الى الثنية ولما كادت الشمس أن تغرب أقبلت العير فسألوا عن الاناء وعن العير فأخبروهم كما ذكر رسول الله ﷺ وكما وصف لهم •

وعاد الجدل والحوار والاستنكار يملأ كل دار في مكة • وارتدت طائفة بعد اسلامها وآمن من آمن على يقين من ربه • وأنزل الله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس » •

ولما أصبح النبي عليه الصلاة والسلام من صبيحة ليلة الاسراء جاءه جبريل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها • فأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل في ذلك اليوم الى الغد والمسلمون يأتون برسول الله ﷺ وهو يقتدى بجبريل •

وخرج رسول الله ﷺ الى مجنة ومن حوله أبو بكر وعلى بن أبي طالب • وأخذ يطوف على القبائل في منازلهم يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه •• ويقول : يا أيها الناس قولوا . لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم • فاذا متم كنتم ملوكا في الجنة •

وعنه أبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فانه صابىء كذاب •
فيسأل الناس : من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟
فيقول سادة قريش : انه عمه عبد العزى بن عبد المطلب •

فيرد الناس على النبي عليه الصلاة والسلام أقبح رد ويؤذونه ويقولون :
أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك •

واجتمع المشركون بمنى منهم : الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والنضر بن الحارث على رسول الله ﷺ فقالوا : ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان (نصف بالشرق ونصف بالمغرب) وكانت ليلة أربعة عشر (ليلة البدر) فقال رسول الله ﷺ : ان فعلت تؤمنوا ؟ •

قالوا : نعم •

فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا •• فانشق القمر نصفاً على جبل أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان •

فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا •• اشهدوا •

فقال سادة قريش : سحركم ابن أبى كبشة (وهو أبو كبشة أحد أجداد رسول الله ﷺ من قبل أمه) •

وبينما كان رسول الله ﷺ بمنى عند العقبة لقي رهطاً من خزرج يثرب فجنس اليهم ودعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن فآمنوا بالله ورسوله •

واشتدت عداوة قريش ضراوة لما ابقتوا أن النبي عليه الصلاة والسلام قد بايع الأوس والخزرج على أن يمنعوه فيما يمنعون نساءهم وأبنائهم وأنهم قبضوه عليه الصلاة والسلام على مصيبة الأموال وقتل الأشراف • وكذلك عودة بعض مهاجري الحبشة • وجاء أصحاب رسول الله ﷺ يشكون ما يلقون من اضطهاد قريش لهم • فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أن الله قد جعل لكم أخواناً وداراً تأمنون بها •

وكان ذلك أمراً لمن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى يثرب والهجرة اليها • • فهاجر أبو سلمة عبد الله بن الأسد المخزومي وحمل عامر بن ربيعة امرأته ليلى بنت أبى حثمة فى هجرة الليل وانسل بها فى غفلة من قريش • وحمل عبد الله بن جحش أهله وكان ضريراً وأغلقت دار بنى جحش هجرة • وخرج عبيدة بن الحارث والطفيل والحصين بنو الحارث بن عبد المطلب ومسطح بن أثاثة ابن عباد بن عبد المطلب من مكة للهجرة فاتعدوا بطن ناجح فتخلف مسطح (لأنه لدغ) فلما أصبحوا • • جاءهم الخبر • • فانطلق عبيدة والطفيل والحصين اليه فوجدوه بالحصاص فحملوه وقدموا يثرب فنزلوا على عبد الرحمن بن سلمة العجلاني • • ثم هاجر عمر بن الخطاب وعشرون من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام • ونزل المهاجرون على الأنصار فى دورهم فأووههم • وكان سالم مولى أبى حذيفة يؤم المهاجرين بقباء •

واستبطن المهاجرون رسول الله ﷺ فى القـدوم عليهم فكانوا يغدون مع الأنصار الى ظل حرة العصابة فيتحينون قدومه ﷺ فى أول النهار فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا الى منازلهم •

ورأى موكب النبي عليه الصلاة والسلام رجل يهودى فصرخ : يا معشر الأنصار هذا نبيكم قد حضر •

فخرج الناس فرحين للقاءه ﷺ • ونزل النبي عليه الصلاة والسلام على
كاثوم بن الهمدم • وبنى رسول الله ﷺ مسجده •• ثم دخل دار زيد بن سهل
زوج أم أنس بن مالك وأرسل إلى مائة رجل من أصحابه : خمسين من المهاجرين
 وخمسين من الأنصار • وقال عليه الصلاة والسلام : تأخوا في الله أخوين أخوين •

ثم أخذ ﷺ بيد علي بن أبي طالب وقال : هذا أخى •

وأخى رسول الله ﷺ بين عمه حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأخى
بين جعفر بن أبي طالب (كان مهاجرا في الحبشة) ومعاذ بن جبل وأخى بين
عبيدة بن الحارث وعمير بن الحمام بن الجموح وأخى بين أبي بكر الصديق
وخارجة بن زيد وأخى بين عمر بن الخطاب وعثمان بن مالك وأخى بين سلمان
الفارسي وأبي الدرداء وأخى بين أبي عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ وأخى بين
مصعب بن عمير وذكوان بن عبد قيس و •• و ••

أخى النبي عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار على الحق
والمؤاساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام •

وأقطع رسول الله ﷺ لعبيدة بن الحارث والطفيل والحسين موضع خطبتهم
بيثرب (فيما بين الزبير وبنى مازن) •

وآلف الله بين قلوب الأوس والخزرج فانطفأت العداوة والبغضاء والكراهية
انتهت ظلت سنوات طويلة بينهم • ولما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة وأظهر دينه ••
أخذ يرسل سرايا لتحسس أخبار قريش فعقد أول لواء لحمزة بن عبد المطلب ••
ثم عقد بعده لواء عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وبعثه في ستين راكبا فلقوا
أبا سفيان بن حرب وهو في مائتين على ماء أحياء (من بطن رابغ) فلم يكن بينهم
إلا الرومى ولم يسلوا السيوف ولم يبدن بعضهم من بعض •• وكان أول من رمى
سعد بن أبي وقاص •

وفر المقداد بن عمرو و (بن الأسود) وعتبة بن غزوان من أبى سفيان بن
حرب ولحقا بعبيدة بن الحارث •• ثم بعث رسول الله ﷺ في رجب ابن عمته
عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من المهاجرين إلى نخلة (بين مكة والطائف)
ليرصد قريشا فمرت به غير لها تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة قريش فيها

عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم ابن كيسان مولى بنى المغيرة فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم • وأسرع عبد الله بن جحش بالأسيرين الى المدينة فكانت أول غنيمة خذوها المسلمون فلما علم رسول الله ﷺ ما كان من عبد الله بن جحش والذين معه قال ﷺ : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام •

فسقط في أيدي عبد الله بن جحش ومن معه وظنوا أنهم هلكوا وأخذ أصحاب رسول الله ﷺ يعنفونهم فيما صنعوا • • فأنزل الله تعالى « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » •

فتهلك عبد الله بن جحش وصحبه بالفرح •

وعلم رسول الله ﷺ أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام في غير قريش فدعا النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين للخروج وقال : هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها •

وأجاب ناس وثقل آخرون • ولكن رسول الله ﷺ عاد فقال : من كان ظهره (ما يركبه) حاضرا فليركب معنا •

ولم ينتظر ما كان ظهره غائبا عنه • وخرج رسول الله ﷺ وكان أصحابه خمسة وثلاثمائة رجل من المهاجرين أربعة وستون وبقايتهم من الأنصار واستعمل النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن أم مكتوم على الصلاة وخلف عاصم بن عدي على أهل العالية بعد أن أصبحت تلك البقاع مسرحا للمنافقين وأعداء الاسلام كعبد الله بن أبي بن سلوة •

وحين فصل ﷺ من بيوت السقياء قال : اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك •

وخرج حبيب بن يساف نجدة لقومه من الخرج طالبا الغنيمة ففرح

المسلمون بخروجه معهم لأنه ذو بأس ولكن رسول الله ﷺ لم يستبشر بخروجه وقال : لا يصحبنا الا من كان على ديننا • ارجع فاننا لا نستعين بمشرك •

وأخذ حبيب بن يساف يزين لرسول الله ﷺ خروجه معهم والنبى عليه الصلاة والسلام يؤكد أن المسلمين لا ينصرون بأهل الشرك على أهل الشرك • فلما رأى حبيب بن يساف صدق رسول الله ﷺ مع مبادئه قال : نؤمن بالله ورسوله •

وأسلم حبيب بن يساف وسار مع أصحاب رسول الله ﷺ ووطد النفس على الجهاد في سبيل الله •

وكان مع أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فرسان وسبعون بعيرا يعتقبونها فكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد يعتقبون بعيرا • فقال على ومرثد : نحن نمشى عنك يا رسول الله •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما •

وكان عبيدة بن الحارث أسن القوم وكان يعتقب بعيرا هو ومسطح بن أثاة وسعد بن معاذ • وأمر رسول الله ﷺ أن تقطع الأجراس من أعناق الابل • وكان النبى عليه الصلاة والسلام صائما فلما رأى ما يحتمل المسلمون من جهد في السير فطر • ونادى مناديه : أفطروا •

فلم يفطر الناس فعاد منادى رسول الله ﷺ ينادى : يا معشر العصاة انى مفطر فافطروا •

فأفطر أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام •

ولما كان رسول الله ﷺ قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى وعدى بن أبى الزغباء إلى بدر يتحسسان الأخبار عن أبى سفيان بن حرب وعيره •

ولما نزل رسول الله ﷺ وأصحابه بوادى ذقوان أتاه الخبر أن قريشا قد خرجت من مكة بعتادها وعدتها لتمنع غيرها •

وعلم رسول الله ﷺ أن قريشا ما بين التسعمائة والألف وأن فيهم : عتبة بن

ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبا البختری وحكيم بن هشام ونوفل بن خويلد والحارث ابن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وأبا جهل بن هشام وزمعة بن الأسود وأمّية بن خلف ونبيه ومنبه ابني الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود •

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : هذه مكة قد أَلقت اليكم بأفلاذ كبدها •

ونزل جيش رسول الله ﷺ أدنى ماء من القوم • ثم أمر بالقلب فغوره وبني عليه الصلاة والسلام حوضاً على القلب الذي نزل به فملاً ماء •

وأراد رسول الله ﷺ أن يستنقذ كل وسائل الصلح قبل أن يخوض القتال فبعث عمر بن الخطاب سفير قريش في الجاهلية ليقول لهم : ارجعوا فإنه ان يلى هذا الأمر منى غيركم أحب الى من أن تلوه منى •

فصادف هذا القوم هوى في نفس حنيم بن حزام فقال : قد عرض نصفاً فاقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف •

فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع بعد أن مكنا الله منهم •
فرجع عمر بن الخطاب الى النبي عليه الصلاة والسلام وأخبره بما حدث •

ودنا الجمعان •• وخرج من بين صفوف قريش الأسود أخو أبي سلمة وكان رجلاً سيء الخلق شديد العداوة لرسول الله ﷺ •• ثم قال : أعاهد الله الأشرين من حوضهم أو الأهدمته أو الأموتن دونه •

وأراد الأسود أن يقتحم الحوض فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب غاطن (أطار) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن تبر يمينه فأتبعه حمزة ابن عبد المطلب فضربه حتى قتله في الحوض •

فحمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته فبرز بين أخيه شيبة ابن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة فلما توسطوا بين الصفيين دعوا الى المبارزة •• فخرج اليهم عوف ومعاذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة فلما عرفوا أنهم رهط من الأنصار قالوا : يا محمد أخرج الينا أكفأنا من قومنا •

فقال رسول الله ﷺ : قوموا يا بنى هاشم فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم اذ جاءوا ببطلانهم ليطفئوا نور الله • قم يا عبيدة بن الحارث • قم يا حمزة • قم يا على •

فلما قاموا ودنوا قال عتبة بن ربيعة : من أنتم ؟

كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح فقال عبيدة بن الحارث : عبيدة •

وقال حمزة بن عبد المطلب : حمزة •

وقال على بن أبى طالب : على •

فقال عتبة بن ربيعة : أكفاء كرام •

فمشى عبيدة وكان أسن الثلاثة الى عتبة بن ربيعة ومشى حمزة الى شيبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن عتبة • أما حمزة فلم يمهل شيبة فقتله فكبر المسلمون وقتل على الوليد بن عتبة فاهتز الوادى بتكبير أصحاب رسول الله ﷺ • واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلى بأسيا فهما على عتبة بن ربيعة فقتلاه • وحمل حمزة وعسى عبيدة بن الحارث الى رسول الله ﷺ فى العريش فأدخلاه عليه فأضجعه رسول الله ﷺ ووسد رجله وحمل يمسح الخبار عن وجهه • فقال عبيدة بن الحارث :

— أما والله يا رسول الله لو رآك أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله منه حين يقول :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

نم أردف عبيدة متسائلا :

— ألسنت شهيدا ؟

قال رسول الله ﷺ : بى وأنا شاهد عليك •

فقال عبيدة بن الحارث :

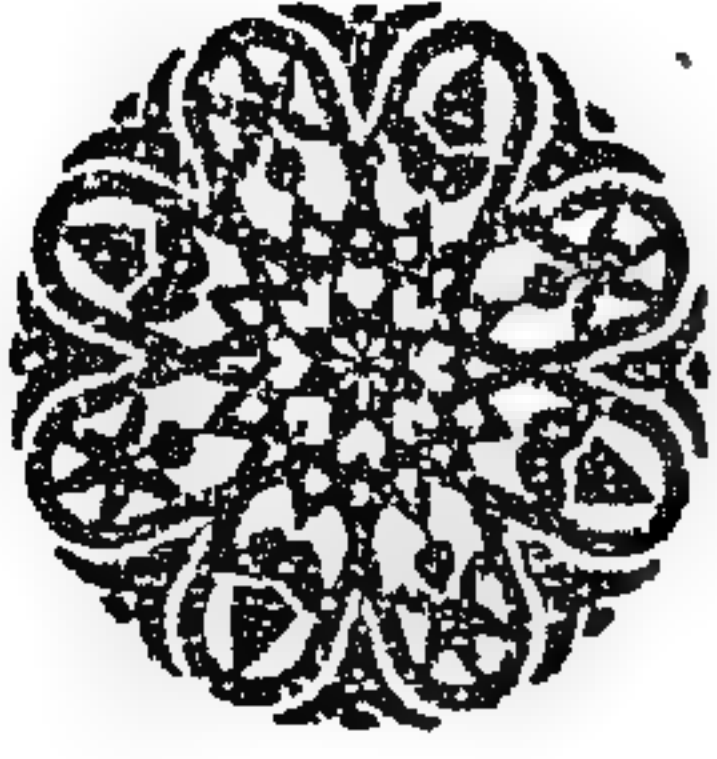
سيتبلغ عنها أهل مكة وقعة	يهب لها من كان عن ذاك نائيا
بعتبة اذ ولى وشيية بعده	وما كان فيها بكر عتبة راضيا
فان تقطعوا رجلى فانى مسلم	أرجى بها عيشا من الله دانيا

مع الحوار أمثال التماثيل أخلصت
وبعت بهذا عيشا تعرفت صفوه
فأكرمني الرحمن من فضل منه
وما كان مكروها الى قتالهم
ولم ييغ اذا سألوا النبي سواءنا
لقيناهم كالأسد تخطر بالقنا
فما برحت أقدامنا من مقامنا
من الجنة العليا لمن كان عاليا
وعاجلته حتى قعدت الأدانيا
بثوب من الاسلام غطي المساويا
عداة دعا الأكفاء من كان داعيا
ثلاثتنا حتى حضر المناديا
نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
ثلاثتنا حتى أزيزوا المنائيا

ومات عبيدة بن الحارث وكان ابن ثلاث وستين سنة فدفنه رسول الله ﷺ
بالصفراء ونزل في قبره .

ولما نزل النبي عليه الصلاة والسلام بأصحابه بالتاريخين قال له أصحابه :
ان نجد ريح المسك .

فقال رسول الله ﷺ : وما يمنعكم وها هو قبر أبي معاوية (يعني عبيدة
ابن الحارث) ؟



عثمان بن مظعون المهاجر في سبيل الله

امتدت العيون المتشوقة تتلمس ارفعاً • وخفقت القلوب بالأمل والرجاء •
لقد هفت النفوس الى الأهل والصحاب وأم القرى والحرم والصفاء والمروة وبيت
رسول الله ﷺ ليقرئوه السلام ويعيروهم سمعهم ليسمعوا في استبشار ما أنزل الله
عليه من نور • لقد حرموا عذب صوته ثلاثة أشهر •

وود العائدون من الحبشة لو أن المراكب تطير بأجنحة الشوق الى أول بيت
وضع للناس ليسعدوا بالطواف به •

وقفزت في رأس عثمان بن مظعون صور أبي جهل وأبي بن خلف وأخيه أمية
وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث والعاص بن وائل • • وشياطين قريش
فأسر عثمان بن مظعون في أذن الزبير بن العوام : أخشى أن نكون قد عجلنا
بالعودة الى مكة •

قال الزبير : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل
المؤمنون » •

شرد عثمان بن مظعون بخياله • • فرأى نفسه يوماً واقفا بجوار الكعبة مع
أخويه عبد الله وقدامة • وكان سادة قريش يتحدثون • • قال أبو الحكم بن
هشام : لقد قلت : ليدخل في دين محمد ما شاء • • لكن بعد أن بادأنا بسب ديننا
وعيب آلهتنا وأنها لا تضر ولا تنفع • • فواللآل الأجله هو ومن تبعه عبرة لكل
ذئ عيين •

قال عقبة بن أبي معيط : لقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا في قرآنه •
قال النضر بن الحارث : لو نشاء لقلنا مثل قرآن محمد • ان هذا الا أساطير
الأولين •

قال أبو سفيان بن حرب : ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد
آباؤكم •

قال أمية بن خلف : لقد أفسد علينا عبيدنا • فدينسه الجديد يسوى بين
العبد وسيده •

قال زهير بن أمية : انه يدعى أن هناك بعثا بعد الموت وأن من تبعه له جنان
كجنان الأردن ومن عصاه له نار يحرق فيها •

وعاد عثمان بن مزلعون الى داره وقد قرر أمرا • ولما أرخى الليل أجنحته
السوداء على مكة ذهب الى دار الأرقم بن أبي الأرقم فوجد أخويه قدامة وعبد الله
• • فتبادلوا نظرات صامتة • كان محمد يجلس وحوله أبو بكر بن أبي قحافة وزيد
ابن حارثة وعلى بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن
العوام وأبو عبيدة بن الجراح وعياش بن أبي ربيعة • • وأخذوا يسمعون الى
محمد يرتل القرآن • وخرج عثمان بن مزلعون وأخواه عبد الله وقدامة فقال
عثمان : ما رأيكما فيما سمعتما ؟

قال عبد الله وقدامة : والله ما هذا بقول بشر •

وأخذ أبناء مزلعون الثلاثة يترددون على دار الأرقم بن أبي الأرقم ليصغوا
الى حكمة محمد وعذب حديثه • وذات يوم كان جالسا بفناء بيته • اذ مر به
عثمان بن مزلعون فعرج اليه فقال محمد : ألا تجلس يا أبا السائب ؟

قال عثمان بن مزلعون : بلى •

فجلس عثمان اليه • وبينما هو يحدثه اذ شخص بصره الى السماء فنظر
ساعة وأخذ يضع بصره حتى وضع على عتبة في الأرض ثم تحرف عن جليسه عثمان
الى حيث وضع بصره فأخذ ينفض رأسه كأنه يستنقه ما يقال له • ثم شخص الى
السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى في السماء وأقبل على عثمان
ابن مزلعون كجليسته الأولى فقال عثمان : يا محمد فيما كنت أجالسك وآتيسك
ما رأيته تفعل فعلتك الغداة •

قال محمد : ما رأيته تفعل ؟

قال عثمان بن مزلعون : رأيته تنفض بصرك الى السماء ثم وضعته حتى
وضعت على يمينك فتحرقت اليه وتركتني • فأخذت تنفض رأسك كأنك تستنقه
شيئا يقال لك •

قال محمد ﷺ : أوفظنت الى ذلك ؟

قال عثمان : نعم •

قال محمد ﷺ : أثناني رسول الله جبريل عليه السلام آتفا وأنت جالس •

قال عثمان : ماذا قال لك ؟

قال محمد ﷺ : قال لي « أن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » •

واذا برعشة تسرى في بدن عثمان بن مظعون واذا بكياهه ينتفض • وخفق قلبه • فقد استشعر بنور الايمان يستقر في صدره •• فقال في صوت متهدج : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

وعاد عثمان بن مظعون في تلك الليلة الى داره وقد ملأ نور الايمان أقطار نفسه • وظلت كلمات رسول الله ﷺ تسكب في آذنيه سحرها وعظمتها • كانت كلمات قليلة ولكنها فتحت أمامه آفاقا واسعة وأزاحت الغشاوة عن فؤاده •

وفشا الاسلام في مكة وتحدثت به فريش وأجمعوا على خلاف وعداوة رسول الله ﷺ ومن تبعه • وأنزل المشركون صيوف العذاب على من آمن برسول الله •• ففتن منهم من فتن حتى يقولوا لأحدهم : اللات الهك من دون الله •

فيقول : نعم •

حتى أن الجعل ليمر بهم فيقول المشركون : وهذا الهك من دون الله •

فيقول : نعم •

وجاء عثمان بن عفان الى النبي عليه الصلاة والسلام وقال له هو وزوجته رقية : يا رسول الله لقد ضقنا باضطهاد قومنا وأذاهم وبما يصبون في آذاننا من أقذع السباب وفحش الأقوال •

فتغير وجه رسول الله ﷺ وراح يرنو الى ابنته وزوجها في رثاء واشفاق •

وأقبل عامر بن ربيعة وزوجته ليلى يشكوان ما يلاقيان من اضطهاد عمر بن الخطاب • وجاء أبو سلمة وزوجه أم سلمة وفي أعينهما الدمع مما قاسيا من عذاب على أيدي بنى مخزوم •• فأطرق النبي عليه الصلاة والسلام •• ثم رفع رأسه

وقال : من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجب له
أجنة • وكان رفيق أبيه ابراهيم خليل الله ونبيه محمد •

قال عثمان بن مظعون : أين نذهب يا رسول الله ؟
قال رسول الله ﷺ : تفرقوا في الأرض فان الله تعالى سيجمعكم •
قال عثمان بن مظعون : الى أين نذهب يا نبي الله ؟

قال رسول الله ﷺ : أخرجوا الى جهة الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده
أحد وهي أرض صدق •

قال الزبير بن العوام : ومتى نعود الى مكة يا رسول الله ؟
قال النبي عليه الصلاة والسلام : عندما يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه •
ولم ينس سنته • كان يقول على الدوام : اذا خرج ثلاثة فليؤمروا أحدهم •

وأمر على المهاجرين الى الحبشة عثمان بن مظعون وقال : ارجعوا اليه في
شئونكم ويكون قوله اذا ما تحزبت الأمور •

وراح المسلمون يتأهبون للفرار بدينهم خوفا من الفتنة • وكان عثمان بن
مظعون مشتت العواطف فدموعه تريد أن تنهمر لفراق رسول الله ﷺ • ماذا
يستطيع والفئة القليلة من المؤمنين أن يصنعوا في أرض الحبشة ؟ لكن فراق الأحبة
والأصحاب وأم القرى يهون أمام مرضاة الله ورسوله • وكان على يقين أن الله
تعالى سيجمع المسلمين مرة أخرى ما دام نبيه عليه الصلاة والسلام قد قال
ما قال • لقد هانت الدنيا في عيني عثمان بن مظعون وصغرت شدائدها منذ أن
أعلن اسلامه •

وصفى الرجال أعمالهم وأعطوا أصحاب الحقوق حقوقهم • وجمعت النسوة
ما سيحملن • • وخرج عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ
وأبو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل وأبو سلمة وزوجه أم سلمة والزبير
ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته
ليلى بنت أبي حثمة وأبو سبرة بن أبي رهم وحاجب بن معمر وسهيل بن وهب
وعبد الله بن مسعود • • خرجوا متسللين في رجب من السنة الخامسة من البعثة
وزكبوا سفينتين الى أرض الحبشة • ودخلوا على النجاشي فقام عثمان بن مظعون

وقص عليه قصة اضطهاد قومهم لهم لايمانهم بعبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام
فقال النجاشي : لماذا اخترتم الحبشة عن سائر البلاد ؟

فقال عثمان بن مظعون : قال لنا رسول الله ﷺ : اخرجوا الى جهة الحبشة
فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق .

فأكرم النجاشي وفادتهم • وراحوا يؤدون شعائر دينهم في أمن وسلام •

وعمل المهاجرون بالتجارة والزراعة ليأكلوا من كد أيديهم • وكانوا يتنسمون
أخبار مكة من التجار القادمين من اليمن • وجاء من مكة أحد أصحاب رسول الله
ﷺ فاجتمع به المسلمون وألقوا اليه أسماهم • فأخذ يقص عليهم نبأ اسلام
عمر بن الخطاب وكيف أعز الله به الاسلام فدخل الحرم شاهرا سيفه وهدد بقتل
كل من تسول له نفسه الاساءة الى المسلمين • وأصبح أصحاب النبي عليه الصلاة
والسلام يصلون ويقرأون القرآن بالكعبة ••

واستبشر المهاجرون باسلام عمر بن الخطاب وعاودهم الحنين الى أم القرى
فقالوا : عشائرننا أحب إلينا من هؤلاء الغرياء الذين نعيش بينهم •

وقعت الإعين المثلثة على مرفأ السبيعية •• فكبر المسلمون ••
وعادت الذكريات تنتال في رأس عثمان بن مظعون •• فذات يوم قابله
الوليد بن المغيرة فقال : يا أبا السائب •• لقد بلغني نبأ كاذب •

قال عثمان بن مظعون : ما هو ؟
قال الوليد بن المغيرة : هل صبأت أنت وأخواتك قدامة وعبد الله ؟
قال عثمان بن مظعون : بل هدانا الله الى صراطه المستقيم •

قال الوليد : غر محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت •
والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الأيام •

قال عثمان : بل الله يحيي ويميت وسوف يدعئنا جميعا •
قال الوليد : ليس بعد الموت حياة •
قال عثمان : بل موت ثم بعث لنحيا حياة أخرى خالدة •• حياة توفى فيها كل
نفس ما عملت ولا يظلم ربك أحدا •

قال الوليد : لقد سحرك محمد •
قال عثمان : بل هداني انى النور •
ورست المراكب عند السبيعية •• فنزل المهاجرون الى احب ارض الله اليهم •
وخرجوا ساجدين لله يبللون الثرى بدموعهم •• ثم غزوا فى السير الى مكة فرأى
عثمان بن مظعون رجلا يرمى الغنم فسأله : كيف الحال الآن بين المسلمين
وبين قريش ؟

قال الراعى : ازدادت العداوة بين قريش والمسلمين ضراما •
فتوقفت الأقدام •• وتقابلت العيون •• وأتمر المهاجرون فقال عامر بن
ربيعة : لم لا نرجع الى الحبشة ؟

فقال الزبير بن العوام : من ذا الذى يطاوعه قلبه على العودة ونحن على
بعد ساعة من مكة ؟

قال عثمان بن مظعون : قد بلغنا مكة فام لا ندخلها وننظر ما فيه قريش
ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم نرجع •

قال عبد الرحمن بن عوف : انى أرى أن ننتظر حتى تغرب الشمس وندخل
مكة مستخفين بالليل •
قال القوم : نعم الرأى •

ساروا مستخفين يترقبون خشية أن يراهم أحد •• ودخلوا مكة فى هجة
أنيل • وراح من بدار عثمان بن مظعون يستبقون الى الباب لاستقبال العائد وبين
الضلوع وجيب أفئدة واجفة مستبشرة • والتصقت الصدور بالصدور • وامتزجت
الدموع بالدموع •• ثلاثة أشهر مضت كأنها ثلاث سنوات • لكن يكفى أن الله
أنزل فى أمر المهاجرين قرآنا « والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئتهم
فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » •

وسمعت قريش بمقدم العائدين من "حبشة فنصبوا شباكهم وأنزلوا بهم
سوء العذاب • وظفر القليل منهم بالجوار فأصبح فى حمى منيع لا يهدر له دم
ولا يضطهد له مأمن • فأسرع عثمان بن مظعون انى الوليد بن المغيرة ليحيره فأخذه
من يده وانطلق الى الحرم فأعلن على الملأ أن عثمان بن مظعون فى جواره • فمضى

يعبر دروب مكة آمننا مطمئنا ويشهد ندواتها لأيسام خسفا ولا صيما • ورأى
عثمان بن مظعون أصحابه المسلمين من الفقراء والمستضعفين الذين لم يجدوا لهم
جوارا ولا مجير يطاردهم الأذى وينزل بهم العذاب • فثارت نفسه على نفسه
وجاش وجدانه النبيل فقال : والله ان عدوى وروحي أنا بجوار رجل من أهل
النشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى فى الله ما لا يصيبنى لنقص كبير •

فمضى الى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس وفت ذمتك • وقد
رددت اليك جوارك •

قال الوليد : لم يا ابن أخى ؟ • لعله آذاك أحد قومى وأنت فى ذمتى
فأكفيك ذلك •

قال عثمان : والله ما اعترض لى أحد ولا آذانى ولكن أرى بجوار الله عز
وجل وأريد ألا أستجير بغيره •

قال الوليد : انطلق الى المسجد فاردد جوارى علانية كما أجزتك علانية •
فانطلقا حتى أتيا المسجد • قال الوليد : هذا عثمان بن مظعون • قد جاء
يرد على جوارى •

قال عثمان : صدق • ولقد وجدته وفيها كريم الجوار ولكننى أحببت
ألا أستجير بغير الله عز وجل • وقد رددت على أبى عبد شمس جواره •

قال الوليد : يا معشر قريش • أنسهدكم أنى برىء من جواره الا أن يشاء •
وانصرف عثمان بن مظعون والشاعر لبيد بن ربيعة بن مالك فى مجلس من
قريش ينشدهم •

فجلس عثمان معهم فقال لبيد : ألا كل شىء ما خلا الله باطل •

قال عثمان : صدقت •

قال لبيد : وكل نعيم لا محالة زائل •

فقال عثمان : كذبت • نعيم الجنة لا يزول •

فقال لبيد فى حنق : يا معشر قريش ما كان يؤذى جليسيكم • فمضى حدث
هذا فيكم ؟

فقال رجل من القوم : ان هذا سفيه • فمن سفاهته فارق ديننا فلا تجدن
في نفسك من قوله •

فرد عثمان بن مظعون •• حتى شري أمرهما • فقام اليه الرجل فلطم عينه
فأصابها •

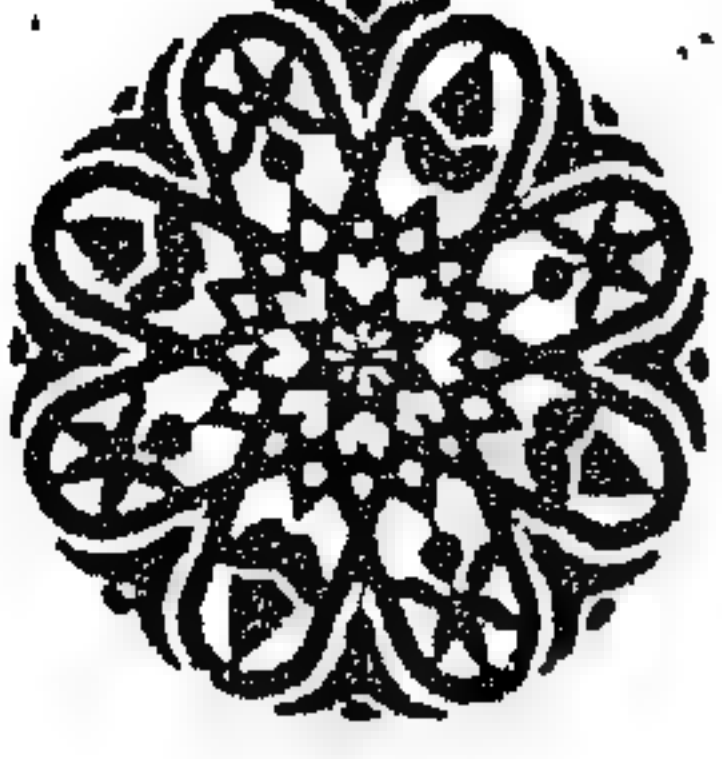
والوليد بن المغيرة قريب يرى ما يحدث لعثمان فقال : أما والله يا ابن أخي •
كانت عينك عما أصابها لغنية • ولقد كنت في ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن
الذي لقيت غنيا •

قال عثمان بن مظعون : بل ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب
أختها في الله • واني لفي جوار من هو أعز منك يا أبا عبد شمس •

فقال الوليد : هلم يا ابن أخي ان شئت فعد الى جوارى •
قال عثمان بن مظعون : لا •

وغادر عثمان هذا المجلس وعينه تضج بالألم ولكنه كان سعيدا مستبشرا •
ومضى في الطريق الى داره يتغنى بشعره قائلا :

فان تك عيني في رضا الله نالها	يدا ملحد في الدين ليس بمهتدي
فقد عوض الرحمن منها ثوابه	ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد
فاني وان قلت غوى مضلل	لأحيانا على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله والحق ديننا	على رغم من يبغى علينا ويعتدي



عبد الله بن أبي السرح

العروة إلى النور

كان يشرب الخمر لما جاءه دق على باب داره •• فقال : من ؟
— أنا عكرمة بن أبي الحكم •
— ماذا تريد ؟

قال عكرمة : افتح يا ابن أبي ساعد فان الأمر أعظم من أن يجرى وراء حجاب •

فتح عبد الله بن أبي السرح الباب فاندفع عكرمة وأغلق الباب وقال لاهثا :
أسرع بالفرار يا عبد الله •

قال عبد الله : لم يا أبا عمرو ؟
قال عكرمة : جاءنا محمد بسواد مجتمع • وصبا أبو سفيان بن حرب وأخذ
يصرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به
فمن كف يده ودخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق باب داره فهو آمن ومن
دخل المسجد الحرام فهو آمن •

قال عبد الله بن أبي السرح : وماذا فعلت هند بنت عتبة ؟
فقال عكرمة : أعماها الغضب فأخذت بلحية زوجها وقالت : يا آل غالب
اقتلوا الشيخ الحميث الدسم الأحمق قبح من طليعة قوم •

قال عبد الله بن أبي السرح : وماذا ترى يا أبا عمرو ؟
قال عكرمة : آن للصدور الموثورة أن تتقيأ كل أحقادها الدفينة •
قال عبد الله : ماذا تعنى بقولك هذا ؟

قال عكرمة : لن يدخلها محمد • ولقد جمع صفوان بن أمية وهبار بن الأسود
وعبد الله بن حنظل والحويرث بن نفيل ومقيس بن حبابة أناسا بالخدمة فتركهم
وجئت إليك •

قال عبد الله : كل من ذكرت خرج يدافع عن عنقه لا دفاعا عن مكة والبيت •
قال عكرمة : ألم يهدر محمد دمهم ؟

ترك عبد الله بن أبي السرح خمره المعتقة وأخذ سيفه ومشى بجانب عكرمة حتى صعدا الجبل •

وجاء صوت خالد بن الوليد : يا صفوان بن أمية • يا عكرمة بن أبي جهل •
يا حويرث بن نفيل • يا هبار بن الأسود • رسول الله ﷺ يدعوكم الى الاسلام •

كان ردهم أن رموا المسلمين بالنبل • وكف خالد عن القتال ما استطاع •
ولكن الذين لجأوا الى الخندمة شرعوا أسلحتهم وحملوا على المسلمين • فطوقهم
خالد وراح يدفعهم الى الجزورة ثم قال : الأسر الأسر لا تقتلوا الا من امتنع •

ولما اقترب عبد الله بن أبي السرح من باب المسجد أسرع الى الكعبة وتعلق
بأسنارها ولحق به هبار بن الأسود والحويرث بن نفيل وزهير بن أبي أمية
والحارث بن هشام ومقيس بن حبابة •

واستشعر عبد الله بن أبي السرح الضيق لماذا تبع عكرمة وذهب معه الى
الخندمة ؟ لماذا لم يبق في داره وأغلق عليه بابه ؟ ألم يعلن أبو سفيان بن حرب
أن محمد قال : فمن كف يده ودخل دار أبي سفيان فهو آمن • ومن أغلق عليه
بابه فهو آمن • ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ؟

ليته ظل في داره أو ذهب الى دار أبي سفيان • لقد استفحل اثمه • ألم
يكف ما بدر منه ... ؟

وعادت ذكريات الماضي تتثال في ذهن عبد الله بن أبي السرح ...

تذكر يوم أن ذاع في مكة نبأ اتصال محمد بن عبد الله بالسماء ونزول الوحي
عليه فغطى على زفاف رملة بنت أبي سفيان سليله حرب بن أمية وعبيد الله بن
جحش سليل بني أسد وبني هاشم • وتبع محمدا أبو بكر بن أبي قحافة وزيد بن
حارثة وعلى بن أبي طالب وخديجة بنت خويلد زوجة محمد وأم الفضل زوجة
عمه العباس بن عبد المطلب والزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله
وعياش بن أبي ربيعة • وكفر بما جاء به محمد سادات قريش أبو سفيان بن حرب
وأبو الحكم بن هشام وأميرة بن خلف و... كل من كانت زعامة قريش هدفهم •
كانوا يعلمون أن محمدا صادق لا يكذب ولكنه جاء بأمر لا يبقى معه شرف • كيف
يسوى دينه الجديد بين السادة والعبيد ؟

فراحوا يقاومون دعوته ويؤلبون سادة قومه وسفهاءهم على من جاء ينتزع
منهم السلطان والشرف وقابل عبد الله بن أبي السرح أخاه في الرضاعة عثمان بن
عفان يوماً فقال له : أصبأت يا عثمان ؟ •

قال عثمان : بل أسلمت • فقد قابلني أبو بكر ودعاني للإسلام فهداني الله
إلى نوره •

قال عبد الله : وما الإسلام ؟
قال عثمان : أن تسلم لله قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويذكرك •
قال عبد الله : وأي الإسلام أفضل ؟
قال عثمان : الإيمان •

ثم أخذ يقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم • هل أتاك حديث الغاشية •
وجوه يومئذ خاشعة • عاملة ناصبة • تصلى نارا حامية • تسقى من عين آنية •
ليس لهم طعام الا من ضريع • لا يسمن ولا يغنى من جوع • وجوه يومئذ
ناعمة • لسهوها راضية • في جنة عالية • لا تسمع فيها لاغية • فيها عين جارية •
فيها سرر مرفوعة • وأكواب موضوعة • ونمارق مصفوفة • وزرابى مبثوثة •
أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت • والى السماء كيف رفعت • والى الجبال كيف
نصبت • والى الأرض كيف سطحت • فذكر إنما أنت مذكر • لست عليهم بمسيطر •
الا من تولى وكفر • فيعذبه الله العذاب الأكبر • ان الينا اياهم • ثم ان علينا
حسابهم » •

لما توقف عثمان عن القراءة ارتجف جسد عبد الله بن أبي السرح • لقد
سمع حكمة الحكماء في الحيرة والشام وألقى سمعه الى الشعراء في سوق عكاظ
فلما يأخذ ما سمع بلبه مثلما أخذت آيات القرآن فقال لعثمان : هذا ليس من
قول بشر •

قال عثمان : انها آيات من لدن حكيم عليم •
أحس عبد الله بن أبي السرح بالكلمات الأخاذة تهز مشاعره • وكأن غشاوة
قد رفعت عن عينيه وأن نورا سكب في قلبه فاذا به يرى الكون كله قد تألق ضياء •

فقال لعثمان : قد أسلمت بقلبي وأرجوا أن تصحبني الى رسول الله •
قال عثمان : هيا • • ماذا تنتظر ؟

وقابله رسول الله ﷺ مرحبا • فنطق عبد الله بن أبي السرح بالشهادتين • وأخذ يكتب الوحي لرسول الله ﷺ • ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش • ولولا خشية بنى عامر فقد كان عبد الله بن أبي السرح هو فارسها للقى هول العذاب • وقابله أبو جهل ذات صباح فقال : عمت صباحا يا عبد الله بن أبي سعد •

قال عبد الله : أنعم الله علينا بتحيةة الاسلام • • تحية أهل الجنة •
قال أبو جهل : كيف • • وكلنا يعلم أن كل الناس الى زوال لا حياة بعده •

قال عبد الله : بل هناك بعث وحياة بعد هذا الزوال الدنيوى • بل حياة يحييها الناس بعد أن يبعثوا يوم القيامة •

قال أبو جهل : أتصدق ما يردده ابن أبي كبشة عن الجنة والنار والبعث ؟

قال عبد الله : أقول ما سمعته وآمنت به •

قال أبو جهل : ثم حياة بعد الموت • • اذن ؟

قال عبد الله : نعم •

قال أبو جهل : فمن الحيى • • بعد الموت ؟

قال عبد الله : الله •

قال أبو جهل : الله أم الآلهة ؟

قال عبد الله : الله وحده لا شريك له •

قال أبو الحكم : هكذا علمك محمد فتركت دين أبيك وهو خير منك • واللات
لنسفهن حلمك ولنقبحن رأيك ولنضعن شرفك •

ولاحقه أذى أبى جهل وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وبقية سادات قريش وخشى عبد الله بن أبى السرح أن يفتن في دينه بعد أن ذاق خلاوة الايمان •

تململ عبد الله بن أبى السرح في وقفته متعلقا بأستار الكعبة لما سمع تكبير المسلمين يزلزل مكة • دخلها محمد ومن معه ؟ • واندلعت نار الخوف في جوف عبد الله • لقد خان الأمانة • وحان وقت الحساب • كان رسول الله ﷺ اذا أُملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا أُملى عليما حكيما كتب عفورا رحيمًا • ولما كتب « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين • ثم جعلناه نطفة في قرار مكين •

ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا الطقة مضغة فخلقنا المصغة عظاما فكسونا العظام
لحما ثم أنشأناه خلقا آخر .. تعجب عبد الله من تفاصيل خلق الانسان فقال
قبل املائه : تبارك الله أحسن الخالقين *

فقال رسول الله ﷺ : أكتب ذلك هكذا نزلت *

ووسوس له الشيطان وملاؤه الغرور فقام الى الناس وقال : ان كان محمد
نبي يوحى اليه فأنا نبي يوحى الى *

ولم يستطع أن يقيم في يثرب * فارتد عن الاسلام ولحق بمكة وقال
لسادة قريش : انى كنت أصرف محمدا كيف شئت * كان يملئ على عزيز حكيم
فأقول : أو عليم حكيم فيقول : نعم كل صواب وكل ما أقول يقول : اكتب
هكذا انزلت *

وعلم عبيد الله بن أبي السرح أن محمدا أهدر دمه * فلم يكتف بالردة
والهروب من المدينة بل أطلق لسانه لينال العزة والحظوة عند أبي الحكم وأمية بن
خلف والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعتبة بن ربيعة * لكن أين كل
هؤلاء ..؟ لقد هبرتهم سيوف أتباع محمد يوم بدر * وانتشرت هزيمة قريش
حماة البيت والكعبة من القبائل *

ونزل الخوف في فؤاد عبد الله بن أبي السرح * لم يعد أحد من سادة
قريش يجد عنده العزة والمنعة والجاه * كل من رفع راية العداء لمحمد قتلته
أصحابه * وأصبحت حياة عبد الله جحيما * وبات يخشى أن يبتعد عن مكة شبرا
حتى لا تظفر به سرايا ابن عبد الله * لقد أصبح مهددا بالقتل حتى وهو في عقر
داره فأتباع محمد يزحفون على أعداء نبيهم ويقتلونهم في فراشهم * فقد قتلوا
كعب بن الأشرف بعد أن شبيب بأمر الفضل زوجة انعباس بن عبد المطلب وبعض
نساء المسلمين في أشعاره * وكذلك قتلوا سلام بن أبي الحقيق في عقر حصنه
بعد أن ارتفع صوته بالعداء لمحمد * وضاق صدر عبد الله بن أبي السرح بالرعب *
فأغلق باب داره برتاج حديدى * ولا يحدث أحدا الا من وراء حجاب * لم يكن
أقوى ولا أمتع من كعب وسلام *

ارتفع صوت المسلمين بالتلبية * دخلوا مكة ؟ أصواتهم كالصواعق ..

ان كان ذنبك يا عبد الله عظيم فان عفو الله أعظم * ورسوله رءوف رحيم *

هإذا قلت ؟ رسول الله ؟ نعم نطقها لسانك • منذ أن فتنت في دينك وأنت تعيش في ضياع بين أقذاح الخمر المعتقة ولذة الدنيا • بعت دنياك بآخرتك ••؟

وتذكر عبد الله بن أبي السرح أخاه عثمان • لم لا يذهب اليه • كما أخرجه من الظلمات الى النور يوم أن هداه الله انى الاسلام •• ينقذه اليوم ••؟

وأسرع الى دار عثمان فقال له : يا أخى استأمن لى رسول الله قبل أن يضرب عنقى •

قال عثمان : أتقول رسول الله ؟

قال عبد الله : نعم • فان الله عز وجل يفرح بعودة عبده المؤمن التائب •

قال عثمان : لقد أجرتك يا أخى •

وترك عثمان أخاه عبد الله بن أبي السرح فى داره وذهب الى رسول الله ﷺ وسأل عبد الله نفسه : « هل سيقبل رسول الله شفاعة ذى النورين ؟ »

ووجد نفسه يقول : لم لا ؟ كان رسول الله ﷺ يقول : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟

عاد عثمان الى داره فقال لعبد الله : هيا معى •

فقال عبد الله فى عجل : الى أين ؟

قال عثمان : الى حيث رسول الله ﷺ فقد استأمنته لك •

وقف عبد الله حائرا • أليس هذا ما كان يسعى اليه ؟ كيف يلقي رسول الله بفؤاد مثقل بالذنوب ويد ملطخة بدماء أتباعه ولسان قد جف من طول ترديد كلمات الافتراء والكذب والثأر ؟ لقد بدل كلام الله • ولكن لا بد أن العلى الخبير قد أخبر رسوله •

قال عثمان : هيا يا عبد الله • ألم تسمعنى ؟

ذهب عبد الله مع عثمان الى رسول الله ﷺ فأعرض عن ابن أبي السرح •

فقال عثمان : يا رسول الله أمنتك •

ولكن النبى أعرض عنه • فأخذ عباد بن بشر الأنصارى ينظر الى رسول الله ﷺ • فنزل الرعب على قلب عبد الله بن أبي السرح • فقد نذر عباد بن بشر ان رأى عبد الله بن أبي السرح قتله •

ماذا ينتظر عباد ؟ لماذا لم يقتل عبد الله ••؟ ينتظر اشارة من رسول الله ؟
ولكن النبي عليه الصلاة والسلام لم يفعل •

قال رسول الله : نعم أمنت يا عثمان •

فمد عبد الله يده الى النبي ﷺ في فرحة وقال : لقد تذكرت جرحى القديم
يا رسول الله •

قال النبي : يا عبد الله الاسلام يجب ما قبله •

ودعا عبد الله بن أبي السرح ربه أن يتم حياته بالصلاة • فاستجاب له •
فمات وهو ساجد في صلاة الصبح •

تطلب جميع منشوراتنا من
مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطبع والنشر والتوزيع

الكويت شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير

بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضى

ت : ٤٣٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤